الأسرة المسلمة
وقضايا العصر

تأليف

أحمد عبد الرحيم السايح صبري عبد الرؤوف

الطبعه الأولى
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

دار الطباعة المحمدية ٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسول الإنسانية الصادق الأمين ، المبعوث رحمة وهداية .

وبعــــد :ـ

فإن الأسرة فى الإسلام ، أساس كل بناء ، ودعامة كل حضارة أصيلة ، وقوة كل عطاء وتجدد . .

والأسرة الأصيلة هى التى تقوم على الإسلام ، فتستمد منه الحياة ، سلوكا ونظاماً ، وأسلوبا ومنهجا . .

ويوم أن كانت الأسرة المسلمة ملتزمة بالإسلام عقيدة وعملا ، يومها كانت الأمة الإسلامية ، أمة قوية يخشى العدو سلطانها ويخاف بأسها . .

لقــــد كانت العقيدة وماجاءت به ، هى النافذة التى تطل منها الأسرة على ماحولها ، كما كانت العقيدة ذاتها هى المنظار الذى ترى الأسرة بواسطته كافة الوجود ، وتفسر على ضوئه مجراها ومرساها . .

إن مصدر الفاعلية فى عقيدة الأسرة المسلمة ، كان الأساس الفكرى والروحى ، لإطار عملى تطبيقى ، يحدد للأسرة المؤمنة بالإسلام .. والمؤتمنة على دعوة الإسلام .. أسلوب التعامل فى الحياة ..

والموقف العملى لايكون عملياً ما لم يحكم بحركة الأسرة ونسلها الكثير

وتواجداتها ، وإلا فهو موقف نظرى ليس مكانه ساحات الممارسة الحياتية والمعاناة ..

ولقد تعرضت الأسره المسلمة فى القديم ، والحديث ، لفتن ومغريات ، ومازالت الأسرة المسلمة ، تتعرض لفتن الجاهلية ، وعوامل الذوبان والانسلاخ ، لتفقد تميزها وعطاءها . .

ومن أخطر ماتتعرض له الأسرة المسلمة ، فى العصر الحاضر ، دعوة العرى والفجور ، والخلاعة ، والإبتذال ، وتحديدالنسل ، والتهجم على تعدد الزوجات ، إلى غير ذلك . .

وقضايا المرأة المسلمة قد سممتها الأفكار المستوردة ، وجنى عليها الغزو الفكرى ، والفتنات المأجورين ممن لاخلاق لهم .. ولهذا كان من حق القلم أن يكشف فى وضوح عن أمور تهم المرأة والرجل . . والفتى والفتاة . . والأسرة والمجتمع . . والأمة والإنسانية . .

وقد أعدت هذه البحوث والدراسات لمواجهة التحديات التى تتكالب فى سعار ، لتنهش فى الأسرة المسلمة ، وتحاول أن تنال منها . وجمعت هذه المقالات لتؤلف كتابا بعنوان «الأسرة المسلمة وقضايا العصر» وقد نشرت بعض هذه البحوث فى مجلات باسم صاحبها ، وبعضها نشر باسم غير اسم صاحبها ..

والأمة الإسلامية وهى تتطلع إلى غد مشرق ، وحضارة أصيلة ، فى أشد الحاجة إلى مواكبة القرن الخامس عشر الهجرى ، بالعمل الجاد ، والإلتزام بالقيم الإسلامية ، والفضائل الإنسانية ، وفى ذلك النجاة والشفاء ؟

المرأة فى الإسلام

كانت المرأة فى بعض الشعوب لا تعدو أن تكون مخلوقا تابعاً للرجل، ليس له قيمة ، وفى بعض المجتمعات تعامل معاملة الحيوان الأعجم ، فيجز الرجل شعرها ، ليبيعه فى الأسواق ، كما يجز أصواف الأغنام وأوبار الأنعام ، مهيضة الجناح ، لا تكاد تبرز إلى الوجود حتى يعرف فيها طالع الشؤم ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ولعل الأبيات الثلاثة التالية لإحدى البدويات ، تعبر تماما عن هذه الحالة ، عندما وضعت أنثى وغضب زوجها ، فامتنع من عن المجىء إلى بيته ، وأقام عند الجيران ، اشمئزازاً ، فقالت زوجته معتذرة :

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يقيم فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... والله ما ذلك فى أيدينا
فنحن كالأرض للحارثينا ... ننبت ما قد غرسوه فينا

تستقبل شر استقبال تورث (بالضم) ولا ترث (بالفتح) وتملك ولا تملك ، وكان البعض القليل ممن يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه ، لا شخصية لها ولا كيان . ولا حول ولا اعتبار ، سجينة حياتها الضيقة ، تكره على الزواج ولا تستشار ، وتجبر على البغاء والزواج المشترك فى كثير من الأحوال ، وتلاق من العذاب والذل ما تلاق ، ويحكم عليها بالموت إذا خالفت زوجها أو أسرفت فى ماله .

وقد عدها مجتمع روما مخلوقا لا نفس له ، وكان الكثير من المجتمعات ينظر إليها نظرة احتقار ، ويضعها فى قائمة الأرواح الشريرة ، التى تضر بالمجتمع ، وفى بعض المجتمعات كان الزوج إذا مات ترمل زوجته حتى تموت ، فلا يسوغ لها أن تتزوج ، ولا يصح لها أن تتزين ، جاء فى الفقه الهندوسى

، تخدم — أى المرأة — بعلها طول حياتة ولا تفكر فى رجل آخر بعد وفاته ، وكان أبناء هذه المجتمعات يستحسنون من المرأة التى مات زوجها أن تقتل نفسها بعده فكانت تلقى بنفسها من مكان عال فيندق عنقها ويتهشم جسمها، وربما أحرقت نفسها فى النيران التى تحرق بها جثة زوجها . ومازال هذا الحكم القاسى مطبقا فى بعض الشعوب وإن كانت المرأة قد تخففت من الموت المادى إلى نوع آخر من أنواع الموت المعنوى ، فارتضت الحياة بعد زوجها ورضى المجتمع لها ذلك بشرط أن تحلق شعرها أو تصلم أذنها أو تشوه وجهها أو تقطع أنفها ، حتى لا ينظر إليها الرجال ولتحقق هذا اللون من الوفاء لزوجها الراحل .

وعلماء أوربا ينظرون إلى المرأة على أنها شر لابد منه ، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى ، ومدخل الشيطان إلى نفس الإنسان . وأنها هى التى دفعت الإنسان الأول إلى إرتكاب الخطيئة ، هكذا كانت نظرة المجتمعات ، ولا زالت بعض الشعوب التى تزعم أنها متحضرة ومتمدنة تنظر إلى المرأة على أنها آفة مرغوب فيها ، ووسوسة لابد منها ..أسفر نور الإسلام فافتر ثغر الدهر عن جو مشرق للمرأة وأمل بعيد وأسلوب فى الحياة جديد ، وثب الإسلام بالمرأة إلى أبعد غاية من كمال النفس وسمو الحياة واتزان الأخلاق وأدب السلوك فظهرت المرأة المسلمة فى مشرق هذا النور ملأى اليدين من حق موفور ، وفضل مأمول ، فياضة النفس بما شاءت من الأدب والرفعة والعفة والصيانة والعزة ، والشرف والكرامة . نعم أنصف الإسلام المرأة فى جميع جوانب حياتها وفى كل أدوارها ، أنصفها ووضعها فى الوضع اللائق ، صيانة للمجتمع وحفظا له .. أنصفها من ناحية المعاملات التى حث عليها وأعربت عنها تعاليمه السمحة ، ومحى عنها الظلام الدامس ، وقشع عنها السحب الداكنة ، التى كانت منعقدة فوق سمائها ، وأزال عنها الأصفاد والقيود التى كانت تعيش فيها وخلصها من الأعباء الثقال التى كانت ترزح تحت نيرها ، وانتشلها من الهوة السحيقة التى كانت مترديه فيها ، وحفظها

من الضياع والنسيان وحرم وأدها ورسم لها طريقا يتفق مع طبيعتها ورسالتها ، وجعل لها من الميراث نصيبا مفروضا ، ونهى عن ارثها وعضلها . فبالله عليك أيها القارىء هل رأيت دينا أعدل وأرأف وأرحم بالمرأة من الإسلام أنه حقا من عند الله . ذلك الإسلام المشرق الوضاء . قرر للمرأة حقوقها ، وأثبت وجودها ورفع مستواها وهيأ لها الجو الصالح كى تعيش قريرة العين ، مساهمة فى بناء المجتمع الإنسانى ، مساعدة فى تعمير الكون وحركة الدنيا ، لها ما للرجل وعليها ما على الرجل ، وليس هذا كلام يقال ، أو عبارات تنسق أو جمل ترتب وتكتب ، بل هى حقائق ثابتة لا سبيل إلى الشك فيها . شهد بها الزمان وتاريخ الإسلام زاخر بالحيوية . وهذا القرآن الكريم عرض الكثير من شئون المرأة فى أكثر من عشر سور . مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والطلاق والتحريم .

وشخصية المرأة فى القصص القرآنى تبدو على جانب عظيم من السمو والنفسية العالية والفكر الثاقب كما شهدت بذلك سورة مريم والقصص ويوسف والتحريم .

وسورة النساء افتتحها الله عز وجل مخاطبا عضوى المجتمع الإنسانى معاً : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » مطلع قوى أخاذ صدرت به سورة النساء . . يقرر مبدأ واضحاً جلياً على أساسه تقام الحياة الاجتماعية ، هو مبدأ المساواة « من نفس واحدة خلق منها زوجها » وقال عز وجل فى سورة آل عمران : — « بعضكم من بعض » وفى الاية الثالثة عشر من سورة الحجرات قال تعالى : — « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » . تلك عناية واضحة من القرآن الكريم بشأن المرأة واهتمام بمكانتها التى ينبغى أن توضع فيها ، واهتمام باستقصاء أحوالها فى مختلف

أطوارها وفى جوانب حياتها . وضح حقوقها على الرجل ، وحقوق الرجل عليها ، وقد أعرب عن ذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات ، وجاءت السنة المطهرة فكانت الصدى المتجاوب مع القرآن فلم تدع شيئا من شئون النساء دون أن تبرزه ابرازا يتفق وسنة الحياة وهناك كتب الاحاديث الصحيحة زاخرة بمئات الاحاديث التى تبين حكم الله فى أمور تخص المرأة وتتعلق بشئونها ، وحسبنا فى معرفة هذه العناية الإلهية ، أن رسول الله عليه الصلاة والسلام نوه بشأن النساء فى خطبته المشهور — بخطبة الوداع — والتى لم يعش الرسول إلا أحدى وثمانين ليلة بعدها انتقل إلى الرفيق الأعلى ، والرسول فى خطبة الوداع يتناول المبادء العليا والأحكام الكبرى يقول عليه الصلاة والسلام « أيها الناس أن لنسائكم عليكم حقا ، وأن لكم عليهن حقا » .

لقد تبوأت المرأة المسلمة فى ظل تعاليم الإسلام مكانة لم تحظ المرأة بمثلها فى أي شرع سابق ، ولا أى مجتمع تواضع الناس عليه .

المرأة فى الإسلام بعض من الرجل والرجل بعض من المرأة « بعضكم من بعض » ، وما يخلق الرجل الا من المرأة والرجل معا ، وما تخلق المرأة إلا من الرجل والمرأة كذلك . وما كان لبشر أن يوجد ألا من هذا الطريق سوى من اختصته القدرة الالهية والإعجاز السماوى من آدم أبو البشر وحواء أم الإنسانية وعيسى بن مريم ولم تقم الحياة بالرجل وحده ولن تقوم ولم تقم بالمرأة وحدها وما ينبغى لها ذلك ، يهتم الرجل بالمرأة ويهتم كلاهما بالحياة ، بهما يكاثر النسل ويحفظ النوع ، وتعمر الأرض وتتحرك الدنيا ، بهما الحياة والقوة ، نفس واحدة ، خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فإذا عالم ضخم يموج بالأنفس ويزخر بالحياة ..

المرأة نصف المجتمع الإنسانى ، حملت الرجل جنينا ووضعته وليدا وسهرت عليه فى مهده وغذته بلبانها وهذبته بسلوكها وقومته بأدبها فهى المربية والطبيبة والحكيمة والمرشدة والام والوالدة والمدرسة الأولى التى

يتخرج منها الجيل إلى الحياة المليئة بالحركة والحيوية ، وهى الجامعة التى يتلقى فيها الأفراد المهارات واتقان اللغات ، والعرف والعادات :

الآم أستاذ الاساتذة الأولى شغلت مآثرهم مدى الافاق

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

قدرها الإسلام حق قدرها وكلفها بكل ما عليها وجعلها مسئولة عن نفسها وعقيدتها وعبادتها وبيتها ومجتمعها ، وفتح لها أبواب المثل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة حتى تصل إلى ذروة ماقدر لها من سمو ونجاح ، وهذه آية من سورة الأحزاب تتجلى فيها مكانة المرأة العاملة جاءت الآية فى ثوب رائع ونسق بديع وأسلوب شيق رائق قال تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

امعنت المرأة المسلمة فى سبيل الكمال ولم تشبهها امرأة من نساء العالمين فى منزلتها وعظيم شأنها وفى قدرتها على تكوين الرجال وتصريف الحوادث ..

الأسرة فى الإسلام

الأمة مجموعة من الاسر ، والأسرة أساس قوى لتماسك بناء المجتمع وإقامة صرح الانسانية ، والزواج عماد الأسرة ، به تنشأ وتتكون ، وفى ظله تقوم الاسرة بدورها فى الحياة ، حيث تتفرغ أواصر القرابة وتمتد .

ومن هنا ندرك أهمية الزواج فى بناء الأسرة ، وأهمية الأسرة فى الإسلام والله سبحانه وتعالى يذكر الانسانية برباط الاسرة ذلك داعيا إلى مراعاة الحقوق والواجبات والآداب والإخلاص والصدق . يقول تعالى فى الآية الأولى من سورة النساء .

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

فالله سبحانه وتعالى يأمر بالتقوى فى هذه الآية مرتين — كما ترى — يفيد الأول أن ذكر الخلق على هذه الصورة مما يدل على قدرة باهرة ونعم سابغة تستوجب الشكر والطاعة والخشية والتقوى لهذا القادر العظيم وذلك المنعم الكريم. ويفيد الثانى أن المراد هو الأمر بتقوى خاصة تتعلق بحفظ ما بينهم من صلات اجتماعية وحقوق أنسانية فلا يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ولا يفسدوا فى الأرض وليتقوا من وصل بينهم حيث جعلهم من نفس واحدة .

وهذه المعانى تبرز فى وضوح دور الأسرة فى حياه المجتمع الإنسانى ولهذا اهتم الإسلام ببناء الأسرة ووضع لها من الركائز مايضمن حسن مسيرتها .

وكان الزواج فى الإسلام باب من أبواب السعادة والنجاح ، والطريق الأمثل لذوى الفطر السليمة .

واحدى آيات الله الكونية والإنسانية ، تدعو إلى التفكر والتأمل الباعث إلى الحكمة والاهتمام بالزواج ، قال تعالى فى سورة الروم :

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

فهذه الآية الكريمة تضمنت فى أعماقها آيات كبرى وكلها تشير إلى فيض الحكمة الإلهية .

وقد تلمس الغايات من الزواج كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع ، لكن ماقررته آية سورة الروم منذ أربعة عشر قرنا ، فاق كل تلمس وتحدى كل فكر ، فالآية الكريمة قررت غايات الزواج كى يظل الفكر الإسلامى معتمدا على الأصيل الثابت فلايتأثر بالفكر المستورد المجانب لكل فضيلة وحتى لاتجرفه التيارات المريضة والتى تراكم عليها عفن الجاهلية والانحطاط .

والمرأة والرجل محتاجان إلى تفهم آيات القرآن الكريم ، والتأمل فى كنوز الإسلام التى تغرس فى النفوس السمو والنبل ، وتصقل الافئدة بالتربية الصحيحة وأن آية سورة الروم ومافيها من آيات لتدل فيما تدل على أن الإنسانية مهما بلغ بها التقدم العلمى والرقى الفكرى ، فهى فى أشد الحاجات إلى الايمان بغايات الزواج فى الاسلام . وسوف نسير مع غايات الزواج كما توحى بذلك آية سورة الروم غاية غاية لندرك سمو التشريع الإسلامى وتبين الطريق السليم .

أولا :

قال تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا »

والأزاج جمع زوج ، والمراد به فى الآية (المرأة) بقرينة عودة الضمير إليها مؤنثاً فى قوله تعالى (لتسكنوا إليها) ومعنى هذا أن المرأة من الرجل وأن الرجل من المرأة وأنهما من جنس واحد ، وطبيعة واحدة هى الطبيعة الإنسانية وأنه سبحانه خلق من هذا الجنس زوج المرأة ، كما خلق منه زوج الرجل ، ليسكن إليها وتسكن إليه .. مادامت المرأة والرجل من معدن واحد .

لخصائصهما ، ومابه انسانيتهما ، واحدة ، وليس احدهما أدخل فى باب الإنسانية من الآخر . ولن يكون شيئاً من الذكورة أو الأنوثة شافعا أو رافعا لأحدهما ومانعا أو خافضا للآخر فى مجالات العمل والتكاليف ومايتبعها من ثواب وعقاب ..

قال تعالى فى سورة النحل :

« من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ..

وقال الله تعالى فى سورة آل عمران :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » ..

ومن حكمة الله أنه جعل المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة وأنهما فى الإنسانية سواء ، فالمرأة ليست من جنس مرذول . والمرأة ليست دون الرجل فى الإنسانية ، والمرأة ليست مخلوقا مطرودا من رحمة الله كما زعم دعاة المسيحية فى القرن الخامس الميلادى . والمرأة ليست وعاء للانتاج البشرى كما زعم دعاة الاشتراكية ، والمرأة ليست شراً لابد منه ووسوسة

جميلة وآلة مرغوب فيها كما زعم ـ الأوربيون ـ إنما هى فى الإسلام نصف المجتمع لها انسانيتها وفاعليتها وأثرها وتأثيرها . ولهذا السبب كان الرابط بين الزوجين هو الميثاق .

قال تعالى فى سورة النساء :

« وأخذن منكم ميثاقا غليظا » والميثاق هو العهد المؤكد الذى يربط الزوج وزوجته والآية القرآنية :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا »

تشير ضمنيا إلى أن هذا الميثاق إحدى آيات الله الفطرية . . جاء فى المنار أن هذه آية من آيات الفطرة الإلهية هى أقوى ما تعتمد عليه المرأة فى فى ترك أبويها وأخواتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تقاسمه السراء والضراء . فمن آيات الله تعالى فى هذا الإنسان أن تقبل المرأة الانفصال من أهلها للاتصال بالغريب تكون زوجا له . وتسكن إليه ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوى القربى فالمرأة لا تقدم على الزوجية وترضى أن تترك أنصارها وأحباءها لأجل زوجها إلا وهى واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة . وهذا ميثاق فطرى من أغلظ المواثيق وأشدها احكاما وإنما يفقه هذا المعنى الانسان الذى يحس احساس الانسان .

ثانياً : ـ

ان السكون فى الآية الكريمة : (لتسكنوا إليها) من أروع الأساليب البلاغية التى تفى بالمقصود فى عبارة موجزة مركزة . والسكون أعم من أن يكون قاصراً على السكون الجنسى ، فهو يشمل سكون النفس وارتياحها

واطمئنانها ، وسكون الجسد بالركون إلى شريك الحياة ، وسكون الروح للعبادة والسمو فى ملكوت الله ، وسكون الاقتصاد بالتعاون المثمر فى بناء الأسرة ، قال صاحب المنار (أرشد الله البشرية إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان وقد جمعت هذه الأركان فى قوله تعالى :

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فالركن الأول : السكون النفسى الجنسى وهذا الركن خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشهوة واللذة والحب الذى يجده كل منهما باتصالهما والملابسة بإفضاء أحدهما إلى الاخر وبه يزول أعظم اضطراب فطرى فى القلب والعقل ..

والركن الثانى : المودة أى المحبة التى يظهر أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التى لا تكتمل للإنسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما لأولادهما ، فيكون لكل البشر أو الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام ، أنه كان يقول : -(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة أن أمرها اطاعته وإن نظر إليها سرته ، وأن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله) .

ومن هذا المنطق الإسلامى ندرك أن الزوج والزوجة فى حاجة إلى الرباط النفسى أكثر من حاجتهما إلى رباط الجسد . وفى حاجة إلى السكينة الروحية حيث يجد كل منهما فى الاخر ، الراعى والرفيق مهما تقدمت

بهما السن أو خفت فيهما نداءات الرغبة ، وحالت دونها الموانع ..
ولا شك أن الزواج بما فيه من سكينة النفس وارتياح القلب ، معين على العفة والحصانة الخلقية .

روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) .

فالسكون النفسى ، والسمو الروحى والارتياح القلبى ، والاطمئنان النظرى والاحساس بالأمن والأمان ، والشعور بالسعادة ، والتعاون المثمر وتبادل المشورة والاستقرار ، كل ذلك تضمنه عبارة (لتسكنوا إليها) وعودة الضمير إلى مؤنث فى (إليها) يشعر بحاجة الرجل إلى هذا السكون الوارف الظلال ويوحى بأهمية الزوجة فى الحياة ومجىء عبارة (لتسكنوا) مرتبطة بواو الجماعة الدالة على الذكور يشير إلى دور الرجال فى السعى إلى هذا السكون الذى هو من لوازم الحياة ، روى الإمام أحمد والترمذى عن ثوبان أن النبى علية الصلاة والسلام قال : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على أخرته »

وبهذا العمل البناء يكتسب الرجل كمالا أدبيا ، وسموا أخلاقيا ، وفضائل تعلى من قدره ..

ثالثاً :ـ

والمودة تشير إليها الاية بقوله تعالى : (وجعل بينكم مودة) والمودة المحبة وهى أمر يعم الزوجين وأسرتيهما وتبدو هذه الظاهرة كما يقول صاحب منهاج السنة فى أن الزوج لا يتعامل فقط مع زوجته ، وإنما مع أسرتها كذلك وتنشأ بينه وبينها صلات وعلاقات ودية .. أو هكذا ينبغى أن يكون ..

ولعل المتأمل يدرك أن المودة تتحقق بين الزوج وزوجته وأسرتهما فى حالة البناء وتعمير البيت لأن كلمة «بينكم» تفيد الاقتران والاقتران مدعاة للحب الصادق والمودة الصافية كما أن الفعل الماضى «جعل» فى «وجعل بينكم مودة» يفيد أن المودة قد تنشأ من التعامل القائم بين الزوجين وهذا دافع لأن يحرص كل من الزوجين على ما هو أحسن وأفضل . ولعل القارىء يدرك معى خطأ أولئك المخرفون الذين ينادون باختلاط الفتى والفتاة ، بعيداً عن العيون ليتم الانصهار فى بوتقة الحب «كما يقولون» . والحق أن الحب الذى والذين بين الفتى والفتاة قبل الزواج بناء على الاختلاط ، حب فاشل . يقوم يقيمون الزواج على هذا الأساس مخطئون إلى حد كبير وليس معنى هذا أن لا تقوم مودة ومحبة قبل الزواج .

ولكن ليس من الضرورى أن لا يتم الاقتران إلا إذا كان قائماً على تبادل كلمات الحب ، والتى كثيرا ماتتم فى حالة هيجان عاطفى وبعيدا عن الرقابة ، وكثيرا مايكون الحب قبل الزواج قائماً على دوافع غريزية ألهبها الإحساس بالحاجة ، وكثيرا مايكون للمظاهر المصطنعة أثر فعال فى تأجيج نيرانه ، وكثيرا مايكون غرض معين عامل أساسى . وعندما يتم الاقتران تنكشف الحقائق ، فيتوارى الحب بعيداً وتنشأ أمور أخرى ، أما الحب الذى تفاعل بين الزوجين فى بيت الزوجية فهو حب قائم على الرؤية الصحيحة ولهذا كان آية من آيات الله يمتد حتى يشمل أسرتين ، باسطا رقعة التعاون والتآزر ليعم ما يتصل بالأسرتين من أقارب وأرحام وأصدقاء .

رابعاً :

قال تعالى : «وجعل بينكم مودة ورحمة» والرحمة من الرحم والرحمة الرقة والتعاطف ، والرقة والتعاطف ينشئان بعد المودة والمحبة ، ولهذا كان

قوله تعالى « وجعل بينكم مودة ورحمة » إعجازاً إلهياً ، فى أسلوب مركز ، يوقظ أحاسيس من كان له قلب .. والرحمة التى جعلها الله تنشأ بالزواج ، ثم فى بيت الزوجية وتنمو وتزداد بالثمرات التى اينعت من بنين وبنات ، والرحمة التى تنشأ بالتراحم والتعاطف والحب ، الرحمة بكل هــذه المعانى تستكن فى نفوس الوالدين نحو الأولاد ، وتمتد الى أقارب الأبناء من جهة الزوج والزوجة ، ثم أقارب الأقارب ، وهكذا إلى أن تغدو هذه العواطف أساس التعامل فى المجتمع الإنسانى ، ، وتبدو أصول التربية واضحة فى هذا الأصل فغراس الرحمة الذى نبت فى ظلال زوجين وترعرع فى بيت قائم على المودة ، هذا الغرس الطاهر سلوك تربوى يحس ويسمى ويبصر ويسمع ويتذوق . وعلى هذا فالبيت عامل بيئى رئيسى يتلقى الطفل فيه أحسن المشاعر وينطبع بالطابع الذى يؤثر فيه ، ، والرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الإنسان وتحليته بالفضائل ومكارم الأخلاق ، وإلباسه حلى الأدب لينشــأ الإنسان وقد عود على الرحمة والرفق والحنان ، ومن لم يتدرب فى البيت على هذا التعامل فليس أهلا لأن يكون إنسانا ، ولقد رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن بن على فقال: أن لى عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «أن من لا يرحم لا يرحم» والحديث جاء فى صحيح البخارى ومسلم والترمذى ومسند احمد ، ودخل أحد الولاة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرآه يقبل طفلا ، فكأنما كان أمراً غريباً على بصره ثقيلا على نفسه لأنه لا يمارسه ، فأظهر دهشته واستغرابه ، فلم يلبث عمر ان عزله عن الولاية .

وهكذا تتجلى لنا الحكمة من الزواج فى غايات نبيلة ، ترسمها آية واحدة من آيات الله ، وختمت الآية بقوله تعالى : «لعلهم يتفكرون» لأن

الفكر كما يقول الفيروزابادى: « يؤدى إلى الوقوف على المعانى التى خلقت لها من التجانس وسكون كل واحد منهما إلى الآخر » .

وقد أفلح أولئك المفكرون الذين ارتضوا الثقافة الإسلامية لتكون لهم زادا ، وسلوكا ونظاما ، يهدى إلى الرشاد وطريق الحق .

إن غايات الزواج فى الإسلام مطلب حسن يعمل له أصحاب العقول العاقلة والقلوب الواعية . وستظل آية سورة الروم منبعاً أصيلا لا ينضب له معين ، يفيض بالعطاء والسعادة .

اختيار كل من الزوجين للآخر

قال تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون »(١) .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل ، عن قول الله : ولا تنكحوا المشركات .. قال : مشركات العرب الذين يعبدون الأصنام ..

وجاء فى تفسير ابن كثير : انزلت هذه الآية فى عبد الله بن رواحة .. كانت له أمة سوداء ، فغضب عليها فلطمها ثم فزع ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها .

فقال له : « ماهى ؟

قال : تصوم ، وتصلى ، وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال : ياعبد الله ، هذه مؤمنة .

فقال : والذى بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ، ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين .

وقالوا : نكح أمته ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين ، وينكحوهم رغبة فى إحسابهم فأنزل الله : « ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »(٢) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٢٥٨

فالإيمان هو أساس السلوك السوى ، وداعيـــة الاستقرار النفسى ، وباعث الأمل .

والايمان أساس لكل ما من شأنه أن يفضى إلى الحياة المثلى ، ولكل ما يعتبر بالتالى عمادا للحياة الزوجية التى يرجى من غراسها أطيب الثمر ، ومن ثمارها خير الأثر .

واختيار الزوج أو الزوجة عملية قيام علاقة انسانية دائمة ، ذات حدود وقيود ، وغايات واهداف ولاشىء كالإيمان يقيم بناءها ، ويحمى كيانها ، ويرعى شأنها(١) .

ولسنا بازاء علاقة حسية موقوته ، حتى نبحث عن عوامل الاغراء ، ودوافع الانشاء .. أو يكون لشىء من الجمال ، أو المال ، أو الحسب ، أو السلطان وزن أو اعتبار .

يضاف إلى ذلك أنه ليس لمشرك شعور بالمسئولية ، ولا تقديس لقيم ، ولا رعاية لنعم . فما أهون شأن الحياة الزوجية لديه ، وما أيسر حل عقدتها ، والتهرب من عهدتها ، وياشقوة من كتب عليه أن يحيا معها تحت سقفها الواهى ؟

ومن وراء ذلك .. أن المشرك الذى أعجب المؤمنة بقوة جسمه ، أو علو نسبه ، أو عراقة حسبه ، أو رواء منظره . له أثر خطير على عقيدتها وتفكيرها وكذلك المشركة التى أعجبت المؤمن ، بما عسى أن يكون لها من قد ممشوق ، ونسب مرموق ، وجمال آسر . لها أسوأ الآثار على عقيدته وفكره .

ذلك أن الذى يفضل شخصا ، أو يؤثره بالإعجاب دون سواه . يعترف

---

(١) منهاج السنة فى الزواج الدكتور محمد الاحمدى أبو النور .

له وجدانيا بامتياز يحمله على أن يضفى عليه هالة إكبار وتقدير، قد تصل إلى مستوى التقديس .. وما يلبث حتى يتأثر به شعوريا، أولا شعوريا أكثر مما يتأثر بغيره، فيحاول طاقته في سبيل ارضائه وشيئا فشيئا يرى الدنيا بعينه، ويسمعها بأذنه، وبقدر أعجابه به يكون سعيه في الاقتراب منه، وبقدر قربة هذا يكون بعده عن قيمه .. وإذا كان هذا التأثير على أحد الأبوين .. فأى مدى يكون التأثير على الأبناء؟ وفى أى واد يهيمون حين يحارون بين هذه القيم المتصارعة والعقائد المتباينة (١).

عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٢).

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه، قال: قيل: يارسول الله: أى النساء خير؟ قال: «التى تسره اذا نظر، وتطيعه اذا أمر، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره»(٣)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»(٤)

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولاتزوجوهن

---

(١) منهج السنة فى الزواج. الدكتور محمد الاحمدى أبو النور ص ٣٣٠، ٣٣١

(٢) التاج جـ ٢ ص ٣١٤ .. رواه الخمسة.

(٣) التاج جـ ٢ ص ٣١٥ .. رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

(٤) الترغيب جـ ٣ ص ٤١ .. رواه مسلم والنسائى وابن ماجة.

لأموالهن ، فعسى اموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء(١) ، سوداء ذات دين افضل »(٢) .

ومن هذا ، نرى ، أن المرأة تنكح لخصال كثيرة : تنكح لجمالها ولمالها ، ولحسبها ، ولنسبها ، ولخلقها ، ودينها .

ولا يبقى من هذه الخصال الا الدين ، والخلق ، فإن الجمال ، والمال ، تبدله الليالي والأيام ، الحسب والنسب لا قيمة له إذا لم يكن معه الخلق والدين ، فرجع الأمر الى الخلق والدين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »(٣) .

وعواقب الاختيار تختلف باختلاف الاختيار ودوافعه ، وقد صورتها السنه أروع التصوير وأبدعه ، وأبانت عن البون المتباعد بين عاقبتي : من تنكب القصد في الاختيار ، ومن أحسنه .

وأن الأول يعكس عليه قصده لقاء أنانيته وطمعه ، واحتياله بغير حق وابتغاء القوة من غير مبتغاها .

وأن الثاني يحقق الله له طلبته ، ثم يحسن اليه فوق ما كان يتصور ويعطيه أزيد مما كان يرغب ، جزاء احسان القصد ، وصواب الاختيار(٤) .

---

(١) خرقاء : مقتطعة الأطراف .

(٢) الترغيب جـ ٣ ص ٤٦ ، رواه ابن ماجة .

(٣) ندوة المحاضرات ، موسم حج ١٣٨٩ هـ ص ١٤ محاضرة علوي مالكي والحديث رواه احمد باسناد صحيح والبزار وابن حبان ، انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦٩ .

(٤) منهاج السنة في الزواج ، الدكتور محمد الأحمدي ابو النور ص ٣٦٦ .

وقد روى أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قوله : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا .

ومن تزوجها لما لها لم يزده الله الا فقرا .

ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة .

ومن تزوج امرأة ، لم يرد بها الا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه »(١) .

وهل هناك منة فوق ان يوفق الله للمرء زوجه ، ويوفقه لزوجه ؟

ويفى لهما ثروتهما ، من التكيف ، والتوافق ، والسكينة ، والمودة ، ويبارك لكل منهما فى الاخر ، بما للبركة من معنى خصيب ، وافق رحيب .

والنبى صلى الله عليه وسلم صريحا فى أمره ونهيه ، حين قال: « لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن .

ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن .

ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرقاء ذات دين أفضل »(٢) ، وبذلك حذر من الزواج لاحدى الغايات المادية ، المذكورة ، مبينا علة هذا التحذير فالجميلة ، قد يوقعها جمالها فى الفتنة ، الا من عصم الله بسياج العفة ، والعزة ، والفضيلة ، وقليل من تكون كذلك .

والموسرة قد تدل بثروتها ، فتطغى بشخصيتها على شخصية زوجها ، وتأخذ من سلطانه بقدر ما تنفعه بما لها .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٣ ص ٧٠ والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) سبق الاشارة الى هذا الحديث الشريف .

وفى هذين الوصفين ، وما يترتب عليهما ، مثل لكل من أراد أن يهدف الى الأمر المادى وحده(١) فالدين أساس كل بناء ، فى الحياة ، والزوجة لبنة فى هذا البناء المثمر .

ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ، خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله »(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى النصف الآخر » .

ولله در القائل :

ألا ان النساء خلقن شتى ، فمنهن الغنيمة والغرام
ومنهن الهلال اذا تجلى لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يظفر ومن يغبن فليس له انتظام

وعن أبى حاتم المزنى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ، الا تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد » .

قالوا : يارسول الله ، وان كان فيه ؟

قال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه » ثلاث مرات(٣) .

---

(١) منهج السنة فى الزواج ، الدكتور محمد الاحمدى ابو النور ص ٣٦٧ - ٣٦٨ بتصرف .

(٢) رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبى جـ ٢ ص ١٦٢

(٣) انظر : التاج الجامع للاصول جـ ٢ ص ٣١٦ ، رواه الترمذى

وعن سهل رضي الله عنه ، قال : مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما تقولون في هذا ؟

قالوا : حرى ان خطب أن ينكح ، وان شفع أن يشفع ، وان قال أن يستمع ، ثم سكت .

فمر رجل من فقراء المسلمين .

فقال : ما تقولون في هذا ؟

قالوا : حرى أن خطب ألا ينكح ، وان شفع ألا يشفع ، وان قال ألا يستمع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا »(١) .

وهذه الأحاديث الشريفة ، جملة وتفصيلا ، صراحة وضمنا ، تشير الى ما ينبغي عند اختيار الزوجة واختيار الزوج .

فليست المادية مقياسا ينظر من خلاله الى الانسان وليس الحسب والنسب والجمال ، ميزانا يرجح كفة الاختيار .

اذن : المقياس الصحيح ، والميزان الصادق ، هو الدين والتقوى والصلاح .

وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته .

قال : فجعل الامر اليها .

فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس الى الآباء من الامر شيء »(٢) .

---

(١) انظر : التاج جـ ٢ ص ٢١٦ رواه البخاري .

(٢) أخرجه ابن ماجه باسناد صحيح جـ ١ ص ٦٠٣

وهذا الحديث الشريف . . يعطى للفتاة حقها الطبيعى فليس من الإسلام أن يفتات عليها أحد . . أو تزوج قسرا ورغما عنها .

أن الزواج بناء أسرة . . وليس سجنا . .

والزواج تعاون مثمر .

قال رجل للحسن : « أن لى بنية ، وأنها تخطب ، فمن أزوجها ؟

فقال : زوجها من يتق الله ، فإن أحبها أكرمها ، وأن أبغضها لم يظلمها(١) .

فالزواج شرعه الله لغايات نبيلة ، ويجب أن تتوفر له الخبرة والكفاءة العلمية ، والقدرة على تحمل أعباء أسرة .

وأمر الأسرة لا يبنى على التكافؤ المادى ، وإنما يبنى على التعاطف الوجدانى والميل القلبى ، والهوى والحب بين كل من الزوجين ، فهذا هو أساس ما سيكون بينهما من سكون نفسى ، وجنسى ، وما سيظلل حياتهما بعدئذ من مودة ورحمة(٢) .

ولعلنا ندرك ، أن الزواج فى الإسلام شركة كبرى ، تقوم على التعاون والتوادد والمشورة ، وفى الوقت نفسه مدرسة تربوية ، يكون فيها الزوج والزوجة قدوة لغيرهما ، فى السلوك والعمل .

---

(١) راجع عيون الأخبار لابن قتيبه جـ ٤ ص ١٧ .
(٢) منهج السنة فى الزواج . الدكتور محمد الأحمدى أبو النور ص ١٤٢

أهداف الزواج فى الإسلام :

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر تترابط فيما بينها بمبادىء وقوانين وأعراف وتقاليد تتفاوت آثارها بين الأمم تبعا لتفاوتها فى درجات المعرفة والثقافة وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء وصلاحيته للبقاء . وكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الصحيحة كلما كان المجتمع قويا ، واللبنة الأولى فى بناء أى مجتمع ، هى الأسرة فإذا كانت هذه اللبنة مفككة منهارة ، فلابد أن يكون المجتمع مفككا منهارا .

وإذا كانت هذه الأسرة صلبة متماسكة ، فلابد أن يكون المجتمع المتكون منها صلبا متماسكا كذلك .

ولما كان الإسلام الحنيف ، يعمل على تكوين المجتمع الإسلامى القوى، فقد حرص على تدعيم اللبنة الأولى فى البنيان الاجتماعى ، وهى الأسرة ، وعمل على إسنادها وعلى تقويتها .

وفى هذا الصدد جاء بالمبادئ والقوانين التى تعمل على أحكام العلاقات والروابط داخل الأسرة . وعلى تقويتها وحفظها من الضعف والانهيار ، وأوجب على المجتمع أن ينفذ هذه المبادىء والقوانين .

قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم »(١) .

---

(١) سورة التوبة آية ٧١ .

فنى مجال العلاقة بين الزوجين يحرص الإسلام على أن تكون هذه العلاقة أقوى ما تكون .

ولهذا كان الزواج فى الإسلام ، مؤسسة اجتماعية دينية يدخل فيها الرجل والمرأة قصدا لتحقيق مصالح مشتركة بين الطرفين!.

وأهم هذه المصالح بالنسبة للزوجين هى توفير وضع اجتماعى ، يتمتع فيه الطرفان بثمرات المودة والمحبة وارضاء النزعات الطبيعية للإنسان ، بصورة كريمة مستقرة .

كما يرضيان الغريزة الوالدية التى تتطلع دائما إلى الأولاد ، وتدفع إلى العناية بهم وتوفير أسباب النمو والازدهار لهم .

وبالنسبة للأولاد فالأسرة ، الزوج والزوجة ، البيئة الطبيعية الضرورية لوجودهم وحصولهم على أسباب النمو العقلى والجسمى ، والرقى ، والوعى الثقافى ، ولا شك أن أوضاع الأسرة الإسلامية ، قد أخذت الطابع الأصيل الذى يجعلها خير وسيلة لأغراض الأسرة ومهمتها فى المجتمع .

ولهذا كان الزواج فى الإسلام (ميثاقا غليظا) وعهدا متينا ، ربط الله به بين (رجل وامرأة) وأصبح كلاهما يسمى زوجا ، بعد أن كان فردا .

قال الله سبحانه وتعالى : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)(١) .

والذى يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التى وردت فيها ، لا يكاد يجدها

(١) سورة النساء آية ٢٠ ، ٢١ .

تأخذ مكانها فى التعبير القرآنى إلا حيث بأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه .

ويستطيع الباحث والمتتبع لكلمة : « ميثاق » وقد جاءت فى شأن الزواج أن يدرك المكانة السامية التى وضع الله الزواج فيها(١) ،

قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٢).

وهذا الميثاق الذى ربط الله به بين الزوجين ، أقيم على ركائز : من التعارف ، والمودة ، والرحمة والعفة والكرامة ، والصيانة .

وهذا هو الزواج الإنسانى فى وضعه الصحيح من وجهة الأفراد ، ومن وجهة المجتمع .

فهو استقرار وسكن نفسانى من وجهة الأفراد ، وواجب اجتماعى من وجهة المجتمع .

وسبيل مودة ورحمة بين الرجل والمرأة .

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة . أنها علاقة « سكن » تستريح فيها النفوس إلى النفوس ، وتتصل بها المودة ، والرحمة ، والمشاركة ، القلبية والوجدانية .

ومن ثم يراد الزواج : لتهذيب النفس الإنسانية واستزادة ثروتها من الرحم والرحمة ، ومن العطف والسمو ، ومن مساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الإحساس . وتنوع القدرة على الإيناس والحب .
ولهذه الركائز ، راعى الإسلام أن تؤسس الأسرة منذ ، البداية على الرغبة والرضا والاختيار .

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ شلتوت ص ١٣٦ : مطبعة الأزهر .

(٢) سورة الروم آية ٢١ .

فوضع عناصر أصيلة لبناء الأسرة السليمة وتكاملها فى المجتمع الإسلامى وهذه العناصر إذا روعيت ، كانت قوة للأسرة الإسلامية ، ودعما ونجاحا .| ووصلت الأسرة المسلمة إلى ذروة ماقدر من الاستقرار والأمن.

وهذه العناصر نجدها فى الترغيب فى الزواج والاهتمام بحسن اختيار كل من الزوجين للآخر وحقوق الزوجة على زوجها . وحقوق الزوج على زوجتـــه ومكانة الزوج بالنسبة لزوجته . والحقوق المشتركة بين الزوجين . وعلاج مايحدث بين الزوجين من خلاف . إلى غير ذلك من مبادىء تبين مزايا الإسلام وتشريعه الخالد ، فى حفظ الأسرة ، ووضع المرأة فى مكانها اللائق بها ، حتى لاتتعرض للابتذال والارتخاص والميوعة ، والانحلال وحتى لا تكون فى وضع الطريد .

الترغيب فى الزواج

قال الله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب)(١) .

قال ابن كثير فى التعليق على هذه الآية : يقول الله : « وكما أرسلناك يامحمد رسولا بشريا ، كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية »(٢) .

وقال تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(٣) .

---

(١) سورة الرعد آية ٣٨.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥١٨ ط الحلبي .
(٣) سورة النساء آية ٣.

وقال تعالى : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم »(١) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :(أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) رواه البخارى والنسائى(٢) .

وعن أيوب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح »(٣) .

وعن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب إلى من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة(٤) » .

والإسلام بهذه النصوص الصريحة ، يعرب عن وضوح دعوته إلى

---

(١) سورة النور آية ٣٢ .
(٢) التاج ج ٢ ص ٣١٠ .
(٣) فيض القدير ج ١ ص ٤٦٥ .
(٤) التاج ج ٢ ص ٣١١ .

الزواج والترغيب فيه فترتبط المرأة والرجل برباط يتم عن طريق زواج شرعى وعقد صحيح تترتب عليه التزامات من كلا الطرفين .

والإسلام الحنيف بهذا الأدب ، يتسامى بالمجتمع ويصعد به إلى مراقى الاطمئنان ، إذ الإسلام لا يعترف بالأمومة غير الشرعية لأنه لا يريد أن تشيع فى المجتمع الإنسانى إذ بانتشارها تختلط الأنساب من جانب وتضيع الالتزامات الشرعية التى على الرجل قبل الولد وأمه من جانب آخر .

والمجتمع حينئذ لا يستطيع أن يتكفل بهذه الالتزامات نيابة عن الآباء المجهولين .

ومن هذا يتضح أن الإسلام ينظر إلى المجتمع الإسلامى ، نظرة إنسانية ، فيها من الشرف ، والكرامة ، والإباء والشمم ، ما يملأ الجوانب أمنا وطمأنينة .

ينظر الإسلام إلى المجتمع على أنه وحدة متفاعلة متجاوبة متعاونة على أساس من الدين والخلق والمودة .

وليس المجتمع فى نظر الإسلام مركبا تركيبا ماديا صرفا ، بل هناك من القيم الإنسانية الهادفة ما هو كفيل بسعادة المجتمع .

وإن أهداف الإسلام من الزواج نجدها :

أولا : فى بقاء النوع الإنسانى وتقوية الروابط فى المجتمع .

ثانيا : فى التسامى بالغريزة النوعية .

ثالثا : فى تحديد المسئولية بالنسبة لتربية الأولاد .

رابعا : فى الاستقرار النفسى والتجاوب العاطفى .

والواقع أن بقاء النوع الإنسانى ، وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع الإسلامى من أهم أهداف الزواج فى شريعة الإسلام .

وبقاء النوع الإنسانى ، والحفاظ على تجدد الدماء فيه ، مطالب اقتضته الحياة ، وهدف من أهداف الزواج ، وغاية يسعى إليها العقلاء .

قال تعالى : « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا »(١) .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه ، وعدله ، وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء ، فجعله نسبا وصهرا ، فهو فى ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهرا ، ثم يصير له أصهار ، وأختان ، وقرابات . وكل ذلك من ماء وطين(٢) .

وقال تعالى : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما »(٣) .

يعنى الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده .

وقال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا »(٥) .

وقال تعالى : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات »(٦) .

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٢ .
(٣) سورة الفرقان آية ٧٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٩ .
(٥) سورة النساء : آية ١ .
(٦) سورة النحل آية ٧٢ .

يذكر الله تعالى على عبيده . بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم ، وشكلهم .

ولو جعل الأزواج من نوع آخر . ماحصل الإئتلاف ، والمودة ، والرحمة . ولكن من رحمته ، خلق من بنى أدم ذكورا وإناثا ، وجعل الإناث أزواجا للذكور . ثم ذكر الله تعالى . أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة . وهم أولاد البنين .

قال ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال ابن جبير عن ابن عباس : « وبنين وحفدة » وهم الولد ، وولد الولد .

وقال أيضاً عن عكرمة : بنوك حيث يحفدونك ، ويرفدونك ، ويخدمونك(١) .

وقال تعالى ، حكاية لدعوة زكريا عليه السلام : « ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا »(٢) .

وفى آيات أخرى « هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصـــدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين »(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٥٥٧
(٢) سورة مريم .
(٣) سورة مريم .

فزكريا سأل الله ، ولدا يكون نبيا من بعده ليسوس الناس بنبوته . وذلك أنه خشى أن يتصرفوا من بعده فى الناس تصرفا شيئاً[٢] .

وقد روى عن حفصة رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« لا يدع أحدكم طلب الولد ، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه »[٣] ،

ولا شك أن كل مولود يأتى إلى هذا الوجود من البنين والبنات يضيف لبنة جديدة فى صرح الحياة ، ويسهم فى صون التراث والمقدسات الإنسانية من غوائل الأيام ، وصوارف الزمن ، فهو عماد الأمة ، وركيزة نهضتها ، وحافظ تقاليدها ، وحارس قيمها ، ومجددنسيجها ، والذائد عن حياضها[٤].

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه ، قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصبت امرأة ذات جمال ، وحسب ، وأنها لا تلد ، أفأ تزوجها ؟

قال : لا .

ثم أتاه الثانية . فنهاه .

ثم أتاه الثالثة .

فقال : « تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم »[٥]

وفى هذا إيماء إلى ما به بقاء النوع ، وتكاثر الأمة ، ودعوة إلى ما يحقق للأمة قوتها .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣

(٢) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٥٨ عن الطبرانى .

(٣) منهج السنة فى الزواج ص ٩٣

(٤) التاج ج ٢ ص ٣١٥ رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصححه .

والأمة الإسلامية . فى أشد الحاجة إلى وعى هذه المعانى الهادفة .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهيا شديدا . ويقول : « تزوجوا الودود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة »(١) .

وقد تنوع حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فقد ينهى صلى الله عليه وسلم صراحة عن الزواج بامرأة من شأنها أن لا تلد . لكبر سن أو نحوه .

وقد يأمر بالزواج من الولود ، دون أن يرشد إلى نوع معين من النساء ، يكون مظنة لذلك اعتمادا على علم المخاطب به ، أو تنبهه له .

وقد يرشد عليه السلام إلى نوع معين من النساء يكون مظنة لذلك . كما فى ندبه إلى الزواج من البكر ، قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالجوارى شباب ، فإنهن أطيب أفواها ، وأعز أخلاقا ، وأفتح أرحاما ، ألم تعلموا أنى مكاثر(٢) » .

وكما فى حديث عويم بن ساعدة الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله وسلم عليه ، : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها ، وأنتق أرحاما ، وأرضى باليسير »(٣)

ولا يذهبن ذاهب إلى أن السنة قد غالت فى إعتبار النسل إحدى الغايات الكبرى التى ينبغى أن يهدف إليها بالزواج . .

فإن الغاية تأخذ أهميتها بقدر ما يكون لها من أثر فى هذه الحياة(٤)

---

(١) رواه سعيد بن منصور وأحمد والطبرانى والبيهقى وابن حبان .

(٢) السنن ج ٣ ص ١٢٨ ، رواه سعيد بن منصور من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن مكحول

(٣) منهج السنة فى الزواج ص ٩٤

(٤) منهج السنة فى الزواج ص ٩٤ ، ٩٥

وواقع الأمة الإسلامية ، والعالم العربى ، يبين فى وضوح حاجتنا إلى الزواج المشروع ، والنسل الكثير

وتكالب الاستعمار القديم والحديث منه على إمتصاص الخيرات ، ونهب الثروات ، دليل مادى على خطورة التقليل من النسل.

يضاف إلى ذلك ، غرس جسم بشرى غريب يفصل العرب والمسلمين فى إفريقيا عن العرب والمسلمين فى آسيا.

وهذا الجسم البشرى الغريب ، هو إسرائيل فقد عملت الدول الكبرى على زرعه لينمو فى أرض إسلامية.

وتهديد الدول الكبرى بالإستيلاء على منابع البترول فى العالم العربى ، يضيف دليلا أخر على أن دعوة تنظيم النسل ، دعوة وراءها قوى وإمكانيات .

والتكالب المسعور على دول الخليج الإسلامى(٢) يدل على أن هناك فراغا ، تتسابق الدول على احتلال الكثير من مواقعه.

ولعلنا من هذا ندرك اهمية النسل فى حياتنا الإسلامية.

فنحن لسنا فى حاجة إلى تنظيم النسل أو تحديده أو التقليل منه.

وإنما نحن فى حاجة إلى نسل يملأ الدنيا ، وينتفع بخيرات بلادنا ، وأموال بترول أرضنا .

إن النسل فى هذه الفترة الصحية ، هو أفضل طريق ، يساعد على إدراك المجد.

---

(١) التعبير بالخليج الإسلامي ، قد يكون مقبولا لدى الخليج العربى، والخليج الفارسى ، وهو أحسن من التعابير القومية التى أوجدها الإستعمار .

ولعلك تعرف أن مؤتمرا دوليا عقد فى رومانيا فى شهر أغسطس سنة ١٩٧٤ م لبحث موضوع تحديد النسل فى البلاد الإسلامية .

وقد يتساءل الإنسان ، وما دخل هذه الدول فى أمور الأمة الإسلامية .

ولكن الحقيقة ، أن هذا يفضح أساليب السياسة التى رسمها اعداء الإسلام ، لأمة الإسلام .

ومما يؤلم النفس ، أن كثيرا من العرب قد انخدع بنظريات الإقتصاد ، التى طرحها الأعداء للتداول فى الفكر العربى ، وكانت تتضمن هذه النظريات خطورة المجاعات التى ستحل بالمسلمين إذا استمروا فى الإزدياد هذا فى الوقت الذى تجد فيه غير المسلمين ممن يعيشون فى البلاد الإسلامية يزيدون من نسلهم ، بشتى الأساليب .

وقد تخدر كثير من أساتذة الجامعات بهذا الفكر المستورد .

وكان من نتيجة ذلك ، وضع الكتب والمذكرات والمحاضرات ، التى تصور مجتمعاتنا بأنها قاب قوسين أو أدنى من الجوع المدمر .

وفات هؤلاء المخرفين الذين تراكم عليهم عفن الجاهلية ، والجهل .

فاتهم أن البلاد الإسلامية تتفجر ينابيع الخير وطاقات الحيوية .

وفاتهم أن الطبيعة لا زالت تكمن فيها الجواهر واللآلىء .

وفاتهم أن من حكمة الله أن جعل أكثر مساحة الكرة الأرضية محيطات فيها من النعم ما فيها .

بعد هذا ننتقل الى الهدف الثانى من أهداف الزواج فى الاسلام . فترى

أن المجتمع الطبيعى ، هو الذى يقوم على اساس من الفطرة ، ويدرك احكامها ومقتضياتها .

ولا ينبغى ان يفهم من هذا ان المجتمع الطبيعى هو الذى يطلق لنفسه العنان ، فلا يتقيد ، ولا يحاول ان يهذب جموح الغريزة ويرد ما عسى ان يكون لها من شطط ، لا ينبغى ان يفهم هذا ، لان الاسترسال فى وضع من الاوضاع دون كبح او تهذيب ، لابد ان يعكس هذا الوضع فى النهاية .

فكان لابد من تهذيب الغرائز ، والتسامى بها حتى لا تندفع ، والغرائز من طبيعتها تأبى ان تقاوم او تكبت ، ويفرض عليها مالا يلائمها ، فكان لابد فى الاسلام من تهذيبها والسمو بها ، بل لعل ذلك من مزايا الاسلام اذ انه يدرك هذه الامور حق الادراك ، ولهذا كان من اهداف الزواج فى الاسلام التسامى بالغريزة النوعية .

ويجد الإنسان فى الزواج إشباعا للنزوع الوجدانى ، واحساسا بمشاعر الغبطة والحنو ، وحاجة إلى الأمن والسكن والاستقرار والإنس والراحة .

والجنس غريزة فطرية لا مهرب منها ، ولا قوة تكبتها .

وطريق الجنس بعيدا عن الزواج يثير مشاعر شتى من الندم ، والخجل ، وتأنيب الضمير .

ويحدث فى النفس صراعا مريرا ، كما يتسبب فى كثير من الأمراض النفسية الخبيثة .

يضاف إلى هذا ، الانحطاط والإباحية ، لهذا كان الزواج فضيلة كبرى ، وقد نظمه الإسلام ليقوم على ركائز قوية .

وأمر الاسلام بالحفاظ ، والاستعلاء ، فقال تعالى : « والذين هم

---

(١) سورة الشورى آية : ٥ .

لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين »(١) .

وقد دلت الآية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وتضمنت هذه الآية وما بعدها ثلاثة امور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين ، وأنه من الملومين ومن العادين ، ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم .

فقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك ، وقد أمر الله نبيه ان يأمر المؤمنين بغض ابصارهم ، وحفظ فروجهم ، وان يعلمهم انه مشاهد لاعمالهم مطلع عليها ، يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج ، فان الحوادث مبدؤها من النظر ، كما ان معظم النار من مستصغر الشرر(٢) .

ولله در القائل :

كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	في اعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ماضر مهجته	لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

ويقول القاسمي : تكون نظرة ، ثم تكون خطرة ، ثم خطيئة ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة احرز دينه .اللحظات ، والخطرات ، واللفظات والخطوات . فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيرا(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) تفسير القاسمي : ج ١٢ ص ٤٣٨٨ .

(٣) تفسير القاسمي : ج ١٢ ص ٤٣٨٨ .

وعن عبد الله رضى الله عنه : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج ، فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »[2] .

وعن ابى أيوب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذى يريد الاداء ، والناكح الذى يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله »[3]

وعن انس رضى الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : ومن رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر[4] دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى »[5] .

وفى رواية البيهقى : قال : رسول الله ﷺ : « اذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله فى النصف الباقى[6] .

وقال رسول الله ﷺ :

« مسكين ، مسكين ، مسكين : رجل ليست له امرأة » .

قالوا : يارسول الله ، وإن كان غنيا من المال ؟

قال : وإن كان غنيا من المال .

وقال : مسكينة مسكينة مسكينة ، امرأة ليس لها زوج .

قالوا : يارسول الله ، وإن كانت غنية من المال ؟

قال : وإن كانت غنية من المال » .

---

(١) الباءة : النكاح ونفقات الزوجية

(٢) الوجاء : القاطع لفوران الشهوة انظر الحديث فى التاج ج ٢

(٣) رواه الترمذى والنسائى والحاكم التاج ج ٢ ص ٣١١

(٤) شطر : نصف

(٥) رواه الطبرانى الاوسط ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد

(٦) الترغيب : الجزء الثالث : ص ٤٢

ومن هذه المفاهيم .. ندرك أهمية الزواج ، وقدرته على السمو بالإنسان .

وقد أولت السنة هذه الناحية اهتماما بالغاً ، وذلك ليكون الإنسان إنساناً .

والإسلام الحنيف يسمو بالغرائز ، ويعرج بها فى معارج عليا ..

ومن أجل التسامى بالغريزة ، حرم الإسلام جلوس الناس فى الطرقات تفاديا من أن تمتد عين الجالس إلى الأجنبيات ، قال رسول الله ﷺ « إياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : ما لنا بد من الجلوس فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم إلا المجلس ، فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر » .

ومن أجل التسامى بالغريزة ، حرم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية ، لما يترتب على الاختلاط بها من نزعات الشيطان ، قال رسول الله ﷺ : « لا يخلون أحدكم بإمرأة إلا مع ذى محرم »(١) ،

ومن أجل التسامى أيضاً نهى الإسلام عن سفر المرأة وحدها ، أو مع غير ذى محرم منها ، وذلك خوفا على عفافها وكرامتها ، وصيانة لها .. قال رجل : يا رسول الله انى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا وإمرأتى تريد الحج . فقال ﷺ : « أخرج معها »(٢) .

فياحبــذا لو أننا تتبعنا أسرار التشريع الإسلامى ، واتبعنا تلك الإرشادات وتمسكنا بأدب الإسلام وسلكنا طريق الحق .

---

(١) رواه البخارى (٢) رواه البخارى

أننا إن فعلنا ذلك ، تقدمنا ولكان لنا من وراء ذلك خير كثير .

ومن أهداف الزواج فى الإسلام ، تحديد المسئولية بالنسبة لتربية البنين والبنات . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » .

قال ابن عباس فى معنى الآية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله وأمروا أهليكم بالذكر ، ينجيكم الله من النار .

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به ، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصيـــة زجرتهم عنها. وذكر القشيرى ، ان عمر رضى الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : قال : يا رسول الله نقى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا .

فقال : « تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله » .

وقال مقاتل : ذلك حق عليه فى نفسه ، وولده ، وأهله فعلينا نعلم أولادنا ، وأهلينا : الدين ، والخير ، وما لا يستغنى عنه من الأدب . وقال تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك » .

وعن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ ، قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

ولعل أهم جوانب هذا النمو .. هو النمو الإجتماعى ، فالطفل ينمو بالتفاعل مع غيره من أب وأم وإخوة وخصيم وزملاء .. وهو ينمو بالأخذ والعطاء ، والقبول والإسداء ، والقيادة والاقتداء ، والخضوع والإعتداد .

وكلما إزداد تفاعل الطفل مع غيره .. إزداد فهما لمن حوله ، وفهما لنفسه ، وإزدادت كفايته فى التعامل مع الغير (١) .

والنمو عملية تكيف مستمرة .. فالرضيع يجاهد ليتكيف لمطالب بيئته الجديدة .. فيتكيف للدفء والبرد ، وللجوع والوجبات الموقوته ، كما يتكيف لرغبات الكبار الذين يعتمد عليهم ، ولمشكلاتهم وأهوائهم (٢) .

فالنمو عملية طبيعية ، وكذلك محاولة المرء المستمرة لتحقيق الملاءمة ، وتحقيق الشعور بأنه كامل فى ذاته وفى علاقاته مع الآخرين على السواء (٣) .

فى البيت تتهيأ للطفل البيئة الأولى التى ينمو فيها . فأبواه هما أول من يعرف من البشر .. الأمر الذى يدعونا إلى التساؤل ، عن أثر الجو المنزلى فى نفس الطفل .

هل تسود المحبة والحنان على الدوام ؟

هل تبدو على من به روح الود المتبادل ؟

---

(١) من مقدمة كتاب (التكيف الإجتماعى للأطفال) ص ٨ للدكتور عبد العزيز القوصى . سلسلة دراسات سيكولوجية رقم ١٧

(٢) التكيف الإجتماعى للأطفال : تأليف بول ه . لانديس ص ٢٣ وترجمة السيد محمد عثمان .

(٣) نفس المصدر ص ٢٤

هل وراء المحبة والحنان ما يدعمهما من استقرار وأمن ؟

هل تسود البيت روح عدم الإكتراث بالطفل وتجاهل رغباته ؟

هل الرعاية والحنان متيسران أحيانا ، منعدمان أحيانا أخرى ؟

هل هناك مشاحنات وشجار دائم ؟

هل يبدو على الأبوين أحيانا مايدل على أنهما يبغضان وجود الطفل ؟

ويستطيع الأطفال أن يحسوا هذه الأمور ، وقد لا يعرف الطفل معناها أو أسبابها .. ولكنه إذا كان محبوبا مرغوبا فيه ، يعيش فى جو يسوده الهدوء والمحبة ، فقد سنحت له فرصة ذهبيـــة لتحقيق التكيف الصحيح .. فهو يستطيع أن يعبر عن حاجاته ، وهو واثق من أنها سوف تلقى من والديه عناية واهتماما ، لأنهما يرغبان فى وجوده ويحبانه .. وسوف تكون استجاباته متسمة بطابع الحب والإهتمام نحوهما ، ونحو الآخرين فى نهاية الأمر(١) .

والقيم التى يكتسبها الطفل فى أثناء سيره نحو النضج إنما هى نتيجة لمؤثرات عدة ، تتمثل فى البيت والمدرسة والأصدقاء والمجتمع .

وتأثير البيت هو أقوى هذه التأثيرات جميعا .

وحتى عندما يكبر وتنمو عنده القدرة على التفكير النقدى ، واتخاذ القرارات فى كثير من الأمور التى تعنى له .. فإن المبادىء التى سارت عليها تربيته الأولى ستؤثر فى سلوكه(٢) .

---

(١) التكيف الإجتماعى للأطفال ص ٣٧ ، ٣٨ الطبعة الثانية مؤسسة فرنكلين . نيويورك — القاهرة .

(٢) المصدر نفسه .

ولهذا كله ندرك ونعى ماجاء عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالأمير راع وهو مسئول عن رعيته .. والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »[1] .

ومن هذا الحديث تبدو مسئولية الزوج ومسئولية الزوجة .

وتحديد المسئولية الملقاة عليهما ، يدل على رسالتهما ، وفعاليتها ، وإيجابيتها .. عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »[2] .

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما نحل[3] والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن[4] » .

فالزوج مسئول مسئولية تامة عن أفراد الأسرة .

والزوجة مسئولة مسئولية إيجابية فى القيام بشئون البيت .

ومسئولية الإثنين مسئولية تربوية هادفة تبنى وتنشىء ، وتساهم .

---

(١) الحديث رواه مسلم ، وفى حديث مثله فى رياض الصالحين للنووى ص١٤٤

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى ج٣ ص٧٢ ، رواه ابن ماجة .

(٣) نحل : أعطى ووهب .

(٤) الترغيب والترهيب ج٣ ص٧٢ ، رواه الترمذى .

والطريق الأمثل فى التربية ، هو تقديم القدوة الصالحة من جانب الأم والأب .. ثم الأخـــذ فى تعليم الدين بالطرق التى تلائم مراحل حياة الناشئين وتعتمد فى أداء مهمتها على الـكتاب الـكريم ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والقصص الدينى وحياة أبطـال وشباب الاسلام.

قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لـكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

فنفس الطفل فى بدء الأمر قابلة لأن تنقش فيها الأخلاق الـكريمة ، ومثلها كمثل المرآة المصقولة ، تنطبع فيها الصور الحسنة بكمالها وتمامها .

وبعبارة قد تـكون أقرب: نفس الطفل ، كالصحيفة البيضاء للمربى يمكن أن ينقش فيها مايشاء .

قال صالح بن عبد القدوس :

وأن من ادبته فى الصبا   كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا   بعد الذى أبصرت من يبسه

ولهذا كانت الحياة الزوجية ، حقلا تربويا خصباً ، لتخريج الأجيال الناشئة وهى أقدر على أداء الرسالة الاسلامية ، وإفادة المجتمع ، بمايضمن الأمن والاطمئنان .

وننتقل بعد ذلك بالقارىء المسلم ، والقارئة المسلمة ، إلى هدف آخر من أهداف الزواج فى الاسلام..

وعن أيوب بن موسى ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، وقال: « مروا أودكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

ومن هذا المدلول الحسى .. ندرك أن العبادات فى الإسلام ، مدرسة تربوية متكاملة لصقل الأولاد ، والناس جميعاً ، وتحليتهم بمكارم الأخلاق .

ولما كانت الصلاة عماد الإسلام ، ونموذجا من نماذج التربية الحقة ، بكر التشريع بالتدريب عليها قبل البلوغ(١) .

وذكر القشيرى أن عمر رضى الله عنه ، قال: لما نزلت هذه الآية — « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » — يارسول الله نقى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ؟

فقال : تنهونهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله .

وقال مقاتل : « ذلك حق عليه فى نفسه ، وولده ، وأهله ، وعبيده ، وإمائه .

فعلينا تعليم أولادنا ، وأهلينا ، الدين ، والخير ، ومالا يستغنى عنه من الأدب(٢) .

والطفل منذ مولده ، يتلقى مؤثرات مختلفة مستمرة من الوسط الذى يعيش فيه ، ومن أبويه واخوته وزملائه فى المدرسة وأساتذته وغيرهم من الذين يختلط بهم وأنه دائم التأثر بذلك .

---

(١) انظر : ندوة المحاضرات موسم حج ١٣٩١ هـ ص ١٩ رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة .

(٢) تفسير القرطبي . الجزء الثامن عشر ص ١٩٥ بتصرف .

والزواج من هنا : كان شركة بين هذين الانسانين ، بل بين هاتين الانسانيتين .. رأس مال هذه الشركة : الحب ، والوفاء ، والايثار ، والرعاية ، والصيانة ، والعفة والصدق ، والثقة .

وهدف هذه الشركة : السكون النفسى ، والاستقرار العاطفى ، وقيام كل منهما بواجب المسئولية ، الأسرية والاجتماعية...

وشعار هذه الشركة : التعاون فى سبيل التربية الصادقة ، والعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، ومعاونة الأمة الاسلامية فى تقدمها وفلاحها ...

القوامة

لابد لكل مجتمع من المجتمعات الانسانية من رئيس يدير الشئون ، ويرعى المصالح ، ويتولى الأمور بالرعاية والتوجيه

والأسرة هي المجتمع الصغير الذى يتكون منه المجتمع الانسانى الكبير وبما أن الأسرة مجتمع ، فهي فى أشد الحاجة إلى قائد ، يصرف الأمور بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ويقود هذا المجتمع الصغير ، إلى شاطىء الأمن ومرفأ السلام ، ويساعد فى بناء وتوطيد دعائم المجتمع الكبير .

ولئن كان القرآن الكريم ، قدسوى بين الزوجين فى الحقوق والواجبات فلا ينبغى أن نفهم منه اطلاقا من هذه المساواة :

المساواة المطلقة التى تتعدى حدود القدرة والامكانيات

فالمساواة فى الحقوق والواجبات فى حدود طاقة كل منها . وإمكانياته الجسدية والروحية

وفى سبيل تحقيق هذه المساواة ، فى حدود الطاقة ، كانت الدرجة التى فضل الله بها الرجال على النساء ، فى قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة .) والاسلام الحنيف فى إعطائه الرجل الحق ، فى القوامة على الأسرة ، قد بنى ذلك على سببين رئيسين .

أحدهما : أن الرجل هو المكلف بالانفاق على الأسرة . ولا يستقيم مع العدالة فى شىء أن يكلف الإنسان بالانفاق على هيئة « ما » دون أن تكون له القوامة عليها . والاشراف على شئونها ..

ثانيهما : والسبب الثانى الذى بنى الاسلام عليه قوامة الرجل على المرأة هو : أن المرأة مرهفة العاطفة ، قوية الانفعال . شديدة التأثر وأن

ناحية الوجدان لديها ، تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحى حياتها النفسية .

وقد سوى الله سبحانه وتعالى المرأة على هذا الوضع ، حتى يكون لها من طبيعتها مايتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية ، وهى وظيفة الأمومة والحضانة والتربية على خير وجه .

فلا يخفى أن هذه الوظيفة ، تحتاج إلى عاطفة مرهفة ، ووجدان رقيق ، وحنان رحيم ، أكثر ماتحتاج إلى التفكير والادراك ، والتأمل . على حين أن الرجل لايندفع فى الغالب مع عواطفه ، ووجدانه ، إندفاع المرأة بل تغلب عليه ناحية الإدراك والتفكير

وغنى عن البيان : أن القوامة والرياسة تحتاجان إلى الادراك والتأمل . أكثر مما تحتاجان إلى العاطفة والوجدان

فصفات القوامة والرياسة ، متوفرة ـ اذن ـ فى الرجل بطبعه ، أكثر من توافرها فى المرأة

وقوامة الرجل ، قائمة على الرحمة ، والمودة ، والمحبة ، وحسن التصرف فهى قوامة ، تهدف إلى الرعاية والعناية ، والتوجيه ، كما أنها بحكم طبيعة كل من الرجل والمرأة ، وليست بسلطان مفروض .

وهى بمعنى اخر : تدبير ، وارشاد ، وحكمة ، وانعام نظر ..

قال الله تعالى فى سورة البقرة : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة)

ويقول ابن كثير فى قوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) أى فى الفضيلة وفى الخلق ، والخلق ، والمنزلة ، وطاعة الأمر . والإنفاق والقيام بالمصالح .

قال تعالى فى سورة النساء « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .

قال ابن كثير فى هذه الآية : أى الرجل على المرأة ، أى هو رئيسها و بيرها والحاكم عليها ، ومؤدبها إذا اعوجت .

وقال فى قوله تعالى « بما فضل الله بعضهم على بعض » أى لأن الرجال أفضل من النساء ،والرجل خير من المرأة ، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم ـ رئاسة الدولة ـ لقول النبى عليه الصلاة والسلام . « لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة » رواه البخارى

وقال ابن كثير فى قوله تعالى: « وبما أنفقوا من أموالهم » أى من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم لهن فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . قال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد فى كتاب ـ المرأة فى القرآن ـ :والقوامة هنا فى الآية السابقة ، مستحقة بتفضيل الفطرة ، ثم بما فرض على الرجال من واجب الانفاق على المرأة ـ وهو واجب مرجعه ، إلى واجب أفضل ، لمن هو دونه فضلا ، وليس مرجعه إلى مجرد انفاق المال وإلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة مالا . يغنيها عن نفقة الرجل ، أو يمكنها من الانفاق عليه .

وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين ، من تاريخ آدم ، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات . والشرائع العامة . وبعد نشوئها .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أعظم حقا على المرأة ؟

قال : زوجها .

قلت : فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟

قال : أمه .

وعن الحسن رضى الله عنه : عن النبى ﷺ ، قال « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته »..

فأنت أيها القارىء الكريم ترى من كل هذا ، أن هذه الرئاسة والقوامة تعنى فيما تعنى قوامه متجهة إلى خير من يدخل فى نطاقها ، وتحقيق السعادة له.

وتعنى فيما تعنى : الارشاد والهداية ، التى تجعل من التفاهم والاقناع وسيلتها الفعالة فى بناء الأسرة

أنها رياسة ، ودرجـــة ، وقوامة ، تتوارى وراء البحث والتفكير الحر ، ولا تظهر إلا عند الضروورة القصوى. للفصل فى المواقف المعقدة

درجة ، وقوامة ورياسة : لا تتضمن حيفا على الزوجة . ولا مساسا بحريتها ولا نقصا من حقوقها

ولكنها وسيلة لابد منها لحسن سير الأمور ، فى الأسرة ، وهكذا نرى الحكمة واضحة فى التشريع الاسلامى . . .

المرأة والميراث

كانت المرأة قبل الإسلام مهيضة الجناح مظلومة الجانب لا حول لها ولا طول، ولا شأن لها ولا اعتبار .

ليس لها حق فى الميراث مقرر سواء كانت زوجا أو أما أو أختا أو بنتا وهى نفسها كانت تورث كأنها جزء من تركة المتوفى، للوارث أن يتصرف فى أمرها كيف شاء .

وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة وحمى الذمار .

فلما أشرقت شمس الإسلام بالحق والنور الوضاح تبوأت المرأة مكانتها اللائقة بها وأصبح لها نصيب مفروض فى الميراث مقرر شرعا لا يعارضها فيه معارض ولا يمنعها من هذا الحق مانع .

يروى أن أوس بن ثابت توفى وترك زوجة وثلاث بنات فزوى أبناء عمه ميراثه عنهن فجاءت زوجة أوس إلى رسول الله تشكو له هذه الحالة فقال لها رسول الله : ارجعى حتى أنظر ما يحدث فنزل قوله تعالى جلت حكمته « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضا » فبعث رسول الله إلى ابنى عم أوس قائلا : لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين ، ثم بين الله سبحانه وتعالى فى قوله : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وأن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك أن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فإن كان له أخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون

أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله أن الله كان عليما حكيما، إلى آخر آية ١٢ من سوره النساء ، وإلى هنا وضح نصيب أفراد المتوفى فاعطى رسول الله زوجة المتوفى الثمن والأبناء الثلثين والباقى ابنى العم .

أيها القارىء ، وأيتها القارئة لقد رفع الاسلام من شأن المرأة فحقق لها ما تبتغيه من حق وما ترجوه من خير وصار لها فى الميراث والملكية نصيب مفروض هى حرة فيه تتصرف فيه كيف تشاء ولم يتحقق للمرأة مثل هذا فى أى شرع سابق أو قانون قبل الاسلام ولا فى مجتمع آخر بعيد عن المجتمع الاسلامى وقد يتشدق المتشدقون وأصحاب الأغراض الخبيثة والدعوات الهدامة خصوصا المستشرقين ، بأن الاسلام لم ينصف المرأة لأنه أعطاها النصف فى الميراث بينما أعطى الرجل ضعف نصيبها ، وهذا كما يقولون اعتراف ضمنى من الاسلام بأن إنسانيتها أقل من إنسانية الرجل وأنها ناقصة عقل ودين .

والحقيقة أيتها الأخت المسلمة أن هؤلاء وأولئك من الغربيين بمثل هذه الأقوال مدفوعون بعوامل التعصب الممقوتة فوق مالهم من أغراض سيئة وأهداف معينة يريدون منها أن ينالوا من التشريع الاسلامى . وأنى لهم ذلك . الاسلام بحكمه وتشريعه باق بقاء الدهر ومن أراد أن ينال منه هدمه ومن تزى به ولا ينفذ حدوده وأحكامه أذله .

الاسلام حقق للمرأة ادميتها ورفع منزلتها وانتشلها من هوتها السحيقة المظلمة ، والاسلام أيتها المسلمة حينما أعطى المرأة النصف وأعطى الرجل ضعف هذا المقدار لا لأن إنسانيتها أقل من إنسانية الرجل كما يقول ذلك المتقولون ، وإنما الحقيقة الواضحة التى لا غموض فيها أن الاسلام أعطاها النصف من الرجل لأن طبيعتها فى الحياة العاملة غير طبيعة الرجل ،

والباحث المنصف البعيد عن التعصب يرى أن الشريعة الاسلامية أعطت

المرأة النصف وهو اكثر مما اخذه الرجل وذلك وهى بنت لها النفقة على ابيها كاملة فاذا دخلت بيت الزوجية فنفقتها على زوجها ثم ابنها من بعد فان احتاجت ولا عائل لها فعلى بيت مال المسلمين ، اما اخوها فله الرعاية والنفقة الى البلوغ قادرا على الكسب فاذا نما وبلغ سن الرشد احتمل من نفقات الاسرة الشىء الكثير ثم عليه نفقة ابيه وامه ان احتاجا اليه .

ثم ان الرجل مطالب بنفقات الاسرة بنين وبنات وزوجة واقارب .

ثم هو يقدم المهر لزوجته عنوانا على رغبته فيها والذى لاحد لاكثره « وان اتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » .

كذلك الرجل مطالب بنفقة ايام العدة اذا ما طلقت الزوجة .

وهو ايضا مطالب بالمتعة وعن هذا اخبر التنزيل قال تعالى : « وللمطلقات متاع بالمعروف » ، فالرجل مطالب بكل شىء والمرأة لاتطالب بشىء .

فلا عجب اذا اختلف حال الاثنين تبعا لاختلاف احوالها وطبيعة كل منهما فى حياتها العامة الداخلية والخارجية .

فاذا اخذت المرأة نصيبها فى الميراث فهى حرة فيه تتصرف فيه كيف تشاء وليست ملزمة بشىء .

هذا هو التشريع الاسلامى الخالد انصف المرأة وحماها من الظلم الاجتماعى الواقع عليها وازال شكاتها .

ونحن اذا نظرنا الى من يتشدقون بالحضارة ويزعمون انهم ارقى الامم مدنية وحضارة وانصافا ، وجدنا معظم دولهم تحرم المرأة حقها من الميراث وتجعله مقصورا على أكبر الاولاد سنا وهذا هو الرجل الابيض يتزوج من الملونة حتى اذا قضى منها وطره هجرها واذا طلبت من القضاء أن ينصفها وقف القضاء ضدها .

وقد حدث ان واحدة من سلالة الملونين طلبت ميراثها من رجل ابيض كان قد تزوجها فرفضت المحكمة أن تورثها قائلة فى حيثياتها ان المدعية تنحدر من سلالة الملونين إذ كان جدها الثامن ملونا وحيث ان زواج الابيض من الملونة باطل قانونا فان المحكمة ترفض دعوى المدعية وتحكم بعدم أحقيتها فى الميراث . . .

فشتان بين حال المرأة فى المجتمع الاسلامى الذى لا يفرق بين الالوان ولا يعترف بالجنسيات والقوميات وبين حال المرأة فى المجتمعات الاخرى الجائرة .

ولتنعم المرأة فى ظل التشريع الاسلامى ولينعم المجتمع الاسلامى كله بحضارة هى اسمى الحضارات .

دور الام فى التربية

اشهى ثمرات الحياه الى الانسان الاولاد فلذات الأكباد ، وزينه الحياة وأعز الودائع واسناها ، وقديما قال الشاعر العربى :

وانمـــا اولادنـا بيننـا   اكبادنا تمشى على الارض
لو هبت الريح على بعضهم   لامتنعت عينى من الغمض

قال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فالأولاد ليسوا ملـكا للوالدين فقط وانما ملك للامة وللانسانية فى اسمى معانيها وانبل قيمها .

لهذا وجب على الابوين ان يحسنا تربية النشء فينشئونهم تنشئة صالحة فاضلة على مثال من الشمم والاباء والقوة والسلامة والمجد والمروءة والاخلاق الرفيعة والهمم العالية والعزائم الراسخة .

قال حافظ ابراهيم مشيرا الى دور الام :

الام مـدرسة اذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الاعراق
الام روض ان تعهده الحيا   بالرى أورق ايمـا ايراق
الام استاذ الاساتذة الاولى   شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وقال الشيخ عبد اللطيف جاب الله موسى مخاطبا المرأة مبينا دورها فى القيادة :

والطفل من للطفل غيرك نشئيه   على المـكارم وارتقى بفتاك
قودى الى سبل الفضيلة خطوه   فسيهتدى فى سيره بخطـاك
واسقيه حب الدين والوطن الذى   غذاه من خيراته وغـذاك

حتى يشب على الفضائل والعلا ... يحمى حماه من الردى ويحماك

للبنت كونى خير ام انها ... حتما تقلد امها وتحاكى

مرآتها فى الناس أنت وسعيها ... رهن بما تسعى له قدماك

فاذا غويت فامرها لغواية ... واذا اهتديت استرشدت بهداك

فالام مدرسة وأى مدرسة انها مدرسة المعارف واللغات والعلم والنور وان شئت فقل مدرسة الامومة ينعكس على الطفل فيها كل ما يراه فى المنزل من تعاطف وتراحم وألفة وانسجام أو بالعكس فنشأة الطفل الاولى عليها يعتمد ويسير وقد تكون ايجابية أو سلبية قال الامام محمد الغزالى عن الطفل (وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل لكل ما يمال اليه ، فان عود الخير وعلمه سعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه) .

فنفس الطفل فى مهده تكون سليمة عذبة صافية رائقة تتأثر بالفضائل كما تتأثر بالرذائل .

قال عز وجل (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) .

وقال تعالى : (فأقم وجهك للدين الحنيف فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

وقال الرسول (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

وعلى اشمة هذه المفاهيم يمكننا ان نعرف الحكمة من قول الرسول

عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

فرسالة الأم فى مجال التربية رسالة جد خطيرة .

النشء إذا تربى تربية صالحة . ونشأ على الفضيلة والتقاليد السوية وقام على الأخلاق السامية والمبادىء العليا فلا عجب إذا شب محافظا مستقيما خيرا .

قال الشاعر صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه

وقال شاعر آخر :

قد ينفع الأدب الأطفال فى صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إن الغصون إذ قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

وعلى ضوء هذه المفاهيم من قيمة الأدب فى الصغر يمكننا أن نعرف الحكمة من قول رسول الإنسانية وأستاذ تربيتها ورسولها الأكرم محمد بن عبد الله قال :

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » والأم فى مجال التربية لها الأهمية الكبرى فهى التى تغرس الجرأة والشجاعة فى نفوس الأولاد وهى التى تصنعهم فى مصنع الأبطال ليكونوا فوارس وأشبالا ليذودوا عن الوطن ويجولوا فى ساحاته .

الأم هى التى تجعل من الأولاد أسودا وأبطالا .

قال الشاعر العربى معروف الرصافى :

ولم أر للخلائق من محل   يهذبها كحضن الأمهات
فحضن الأم مدرسة تسامت   بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا   بأخلاق النساء الوالدات
فكيف نظن بالأبناء خيراً   إذا نشأوا بحضن الجاهلات

ففى وسع المرأة أن تقدم أفرادا نافعين وجنودا لا يرهبون الردى ولا يخافون حومة الوغى سواء وثبوا على الموت أم وقع الموت عليهم ففى وسعها أن تعد جيلا نافعا وأعضاء للمجتمع يعتز بهم .

وإنى هنا اضرب أمثلة من صميم تاريخنا وأدبنا لتكون نبراسا للمجتمع وهدى لمن أراد . هذه هند زوج أبى سفيان قال لها بعض رجالات قومها يمتدح ابنها معاوية : أن ابنك هذا سيسود قومه فما كان جواب هند إلا أن قالت ثكلته أن كان لا يسود إلا قومه ، ألا ترى معى أيها القارىء العربى أن فى مثل هذا القول دفعة قوية وإعداد للمستقبل ، إعداد يدفع بالابن دفعا إلى المجد والعز ، ، وهذا عبد الله بن الزبير يدخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق فيقول : « يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق معى إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى من الدنيا ما أردت فما رأيك » .

فقالت أسماء : « أنت أعلم بنفسك يا ولدى إن كنت تعلم إنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن رقبتك من غلمان بنى أمية .

وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك

وإن قلت يا بنى كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فليس هذا من فعل الأحرار ولا أهل الدين وما خلودك فى الدنيا . القتل أحسن » .

قال عبدالله : يا أماه أخاف أن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى ، قالت : أن الكبش إذا ذبح لا يؤلمه السلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله ، فخرج عبد الله وأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفر يسير لجعل يقاتل بهم حتى قتل ومثلوا به واقتطعوا رأسه وجاءوا به إلى الحجاج فأرسله إلى عبد الملك بن مروان .

وكانت الخنساء بنت عمرو بن الحارث تعتبر بحق فى عداد الأمهات الفضليات والمربيات الصالحات دفعت بأبنائها الأربعة إلى ميدان الجهاد للذود عن حرمة الوطن وحوزة العقيدة بعد أن زودتهم بالدر النفيس من النصائح والتوجيهات ، قالت لهم فيما روته كتب الأدب العربى :

« اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا إله إلا هو انكم بنوا امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين » .

فما أن أصبح الصباح حتى هرع الأخوة الأربعة بنفوس مؤمنة وعزائم كالسيف مضاء ذهبوا إلى ميدان القتال غير وجلين وظلوا يقاتلون بيسالة حتى استشهدوا وحين علمت أمهم بذلك صبرت واحتسبت وقالت بإيمان كلمتها الخالدة فى فم الدنيا « الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

قال الشاعر :

قم ابن الامهمات على أساس ولاتبن الحصونا ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكى وهن يلدن للغاب السباعا

إن للمرأة بحق رسالة خطيرة إذ هى ملهمة الجيل والأمينة على الذرية الغالية من الذرية ومسئوليتها فى إعداد الجيل مسئولية كبرى تعده للوطن الإسلامى جنديا مؤمنا برسالة السماء معتزا بأمته غيورا على وطنه الكبير الفسيح الجنبات . . .

من رحمة الاسلام بالمرأة

من رحمة الاسلام بالمرأة إنه لم يدع شأنا فيه مصلحتها إلا وشرع له وأرشد إليه وأمرها باتباعه ، ولم يترك امرا فيه ضررها إلا وحذرها منه ونهاها عنه .

ومن بين ما شرعه الاسلام وفيه اعلاء قدرها وعلو منزلتها : ستر بدنها وعدم ابداء زينتها ، وتوجيه المسلمات إلى أن يدنين عليهن من جلابيبهن .

وهذه التعاليم الاسلامية التي جاءت في شأن المرأة ، كان لها أكبر الأثر على عقلها وقلبها ونفسها ، فأسلمت المرأة المسلمة لأوامر الاسلام والتزمت بما أمرها الله سبحانه وتعالى به من سلوك حسن ، وخلق رضى . وعلى الرغم من طبيعة المرأة التي تحب التزين ، فقد كان اقتناع المرأة بالإسلام وما جاء به حافزا لها على أن تغير من سلوكها وفق المنهج الذى ارتضاه الإسلام لها. وكانت المرأة المسلمة تحس بأن في هذا السلوك السعادة لها ، ولأفراد المجتمع الاسلامى ، وكان هذا الاحساس النبيل امتثالا لقول الله تبارك وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . وكانت استجابة المرأة المسلمة أشد وأقوى في الحرص على تنفيذ تعاليم الاسلام في نظام ملبسها وزيها الذى تتزى به ، حيث طالبها الاسلام بستر بدنها تمييزا لها عن غيرها من النساء ، وحرصا عليها ، فإن ذلك أدعى لصيانتها وحفظها من عيون الطامعين والنفوس الشرهة وحماية لها من مرضى الألسنة والقلوب .

وإذا مس الايمان قلب المرأة المسلمة فإنه يترك أثرا كبيرا في قلبها وعقلها ، وهيئتها ، وعاداتها ، والاستجابة لنداء الايمان ، باتباع ما أمر

الله . واجتناب مانهى عنه . والمرأة المسلمة فى كل زمان وعصر مطالبة بأن تستجيب لداعى الله وفى ذلك حياتها وعزتها وعلو شأنها . تدبر قول الله تعالى فى سورة الممتحنة : « يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله أن الله غفور رحيم » .

قال الشيخ المراغى فى تفسيره :

يأيها النبى إذا جاءك النساء المؤمنات مقدمات لك الطاعة ملتزمات ألا يشركن بالله شيئاً من صنم أو حجر ولا يسرقن من مال الناس شيئاً ولا يزنين ولا يئدن البنات كما كن يفعلن ذلك فى الجاهلية ولا يلصقن أولاد الأجانب بأزواجهن كذبا وبهتانا ، ولا يعصينك فيما تأمرهن به أو تنهاهن عنه كالنوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيوب ، وخمش الوجوه .

والا تخلو امرأة بغير ذى رحم محرم ، فبايعهن على ذلك والتزم لهن الوفاء بالثواب ، إن هن أطعنك فى كل ذلك ، وأطلب لهن المغفرة من الله إنه هو الغفور الرحيم لهن إذا وفين بما بايعن عليه » .

من هذا وضح لدينا أن الله سبحانه وتعالى قد امر رسوله الكريم محمد ﷺ بمبايعة النساء المؤمنات على اتباع ما أمر الله به واجتناب مانهى الله عنه .

فكان الرسول ﷺ يبايع من جاءته منهن على ذلك . وكن يأتين إليه وهن طائعات لأنهن مؤمنات مستجيبات لما أمر الله به .

ومما يؤكد استجابتهن لدعوة الله فى اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه استجابتهن حينما دعاهن إلى ستر أجسامهن وأن يحفظن فروجهن .

وقال تعالى فى سورة النور « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية . لقد كانت المرأة تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شىء ، وربما اظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يستترن فى هيئاتهن وأحوالهن كما قال الله تعالى : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت مثنية على نساء الأنصار حسن امتثالهن واستجابتهن لهذه الآية الكريمة : « والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل » .

لقد أنزلت سورة النور « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على إمرأته وإبنته وأخته وعلى كل ذى قرابته فما منهن إمرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت « المعجر والعجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ومنه أخذ الاعتجار وهو لى الثوب على الرأس » به تصديقا وإيمانا بما نزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » .

والذى يريده الاسلام من المرأة لا يقصد منه الحجر عليها ولا تقييد حريتها ، كما تزعم كثير من المثقفات ، وإنما هو صيانة لبدنها واحترام منه لكرامتها حتى تظهر فى المجتمع إمرأة حرة فلا يؤذيها فاسق ، ولا يعتدى على كرامتها من لا خلق له .

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك

ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ».

طلب الله سبحانه من نبيه ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات وبخاصة أزواجه وبناته « بأن يدنين عليهن الجلاليب إذا خرجن من بيوتهن ليتميزن . واجمال ذلك أن على المسلمة إذا خرجت من بيتها لحاجة أن تستدل عليها ملابسها بحيث تغطى الجسم والرأس ولا تبدى شيئا من مواضع الفتنة كالرأس والصدر والزراعين ونحوها ».

ثم علل ذلك بقوله : « ذلك أدنى يعرفن فلا يؤذين ».

أى ذلك التستر أقرب لمعرفتهن بالعفة، فلا يتعرض لهن ولا يلقين مكروها من أهل الريبة ، احتراما لهن منهم ، فإن المتبرجة مطموع فيها منظور إليها نظرة سخرية واستهزاء ، كما هو الشاهد فى كل عصر ومصر ، ولا سيما فى هذا العصر الذى انتشرت فيه الخلاعة وكثر الفسق والفجور ».

والاسلام دين الفطرة لذلك فهو لا يملك فى كل شأن من شئون الحياة إلا طريقا يتفق مع العقل العام ويتجاوب مع الفطرة السليمة .

انك إذا نزعت من عينيك المنظار الملون ، ونظرت إلى الأمور كما هى فى صورتها الحقيقية الفطرية ، فإن هذا النظر لابد أن يفضى بك إلى نفس النتيجة التى قد انتهى إليها الاسلام . .

أنه ماقرر للانسان نوعا خاصا من اللباس أو أسلوبا خاصا للمعيشة بل قد اعترف بشرعية كل لباس وكل أسلوب للمعيشة مادام قد تطور وترقى بطريق فطرى سليم . إلا أنه وضع مجموعة من المبادىء والقواعد الأساسية من الوجهة الخلقية والاجتماعية الخالصة .

ويريد ألا تتولى كل أمة الاصلاح في لباسها أو في طريقتها للعيشة إلا حسب هذه المبادىء والقواعد الأساسية .

فأول هذه القواعد أنه قرر حد د التستر للعورة بالنسبة للرجال فهو يلزم الرجل أن يستر ما بين سرته وركبتيه ويلزم المرأة أن تستر كل جسدها ماعدا وجهها ويديها وأسفل قدميها .

ويقول المودودي في كتاب اللباس :

ومما تجب ملاحظته بهذا الصدد : أن هذه الحدود إنما هي حدود ستر العورة ، وماهي بحدود الحجاب . فإن هناك فرقا بين ستر العورة والحجاب فالعورة ما يجب على المرأة ستره من أعضاء جسدها ـ عن أي واحد من الرجال محارمها وغير محارمها ـ حاشا زوجها ـ ولو كان هو أباها أو أخاها أو ابنها . وأما الحجاب فهو شيء فوق ستر هذه العورة وهو الذي يفرق فيه بين المحارم وغير المحارم من الرجال ، فالوجه واليدان وأسفل القدمين ليست من العورة فيجوز للمرأة كشفها ولكن للمحارم وحدهم فإنها مأمورة بألا تكشفها لغير المحارم بموجب حكم الحجاب . .

الزواج والطلاق فى الإسلام

الزواج فى شريعة الاسلام : ميثاق غليظ ، وعهد متين . ربط الله به بين رجل وامرأة ، وأصبح كلاهما يسمى زوجا بعد أن كان فردا .

قال الله تعالى فى سورة النساء « وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن من منكم ميثاقا غليظا » . والذى يتتبع كلمة « ميثاق » ومواضعها التى وردت فيها لايكاد يجدها تأخذ مكانتها فى التعبير القرآنى إلا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده والأخذ بشرائعه وأحكامه .

ويستطيع — وقد جاءت فى شأن الزواج — أن يدرك المكانة السامية التى وضع الله الزواج فيها ، وجعله فى التعبير عنه ، صنوا للايمان بالله وبشرائعه .

ميثاق أصل ، أقيم على ركائز من التعارف والمودة والرحمة والصيانة والعفة . . . وهـــذا هو الزواج الإنسانى ، فى وجهه الصحيح من جهة الأفراد ، ومن جهة المجتمع . فمن جهة الأفراد سكن نفسانى ، ومن جهة المجتمع واجب اجتماعى وسبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء .

وفضيلة هذه العلاقة بين الرجال والنساء ، أنها : علاقة سكن تستريح فيها النفوس إلى النفوس ، وتتصل بها المودة والرحمة والمشاركة القلبية والوجدانية . .

ومن ثم يراد بالزواج : تهذيب النفس الإنسانية ، واستزادة ثروتها من الرحم والرحمة ، ومن العطف والسمو ، ومساجلة الشعور بين الجنسين ، بما ركب فيهما من تنوع الأحساس وتنوع العاطفة ، وتنوع القدرة على الحب والايناس .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ، « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيراً له من زوجة صالحة ، أن أمرها اطاعته وأن نظر إليها سرته ، وأن اقسم عليها أبرته ، وأن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » .

وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وبدن على البلاء صابر ، وزوجة لاتبغيه حوبا فى نفسها وماله » .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى النساء خير ؟ .

قال : « التى تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولاتخالفه فى نفسها ، ولا مالها بما يكره » .

فمن هـذه النصوص العظيمة نرى أن مفاهيم الزواج فى الإسلام لاتدانيها مفاهيم فى إقامة الأسرة وتدعيم بنيانها .. فليس الزواج فى الإسلام ، علاقة جسدية وليس الزواج فى الإسلام صفقة تجارية .

وليس الزواج فى الإسلام ، جواز مرور ، يحمله الانسان حين يروم إرضاء مابه .

وليس الزواج فى الاسلام ، علاقة تلجىء إليها الضرورة الوقتية وإنما الزواج فى الاسلام ، علاقة إنسانية ، دائمة تلتقى فيها إنسانية إنسان ، بإنسانية إنسانة .

علاقة بشرية ، تجمع بين النفسية والجسدية ، لتتوائم مع طبيعة الانسان .

ويشير إلى هذا القرآن الكريم ، دستور الأمة الإسلامية فى قوله تعالى فى سورة الروم :

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .. فالله سبحانه وتعالى يرشد الإنسانية إلى مافيه سعادتها فى الحياة .. فيضع لها أركان الحياة الزوجية فى آية .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً » .

والركن الأول : السكون النفسى، وهذا الركن خاص بالزوج والزوجة وهو تعبير بليغ عن شعور الاطمئنان والأمن والراحة والصفاء .

والركن الثانى : المودة ، والتى يظهر أثرها فى التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما .

والركن الثالث : الرحمة التى لاتكمل للانسان ، إلا بعواطف الأمومة والأبوة ، ورحمتهما لأولادهما .

فيكون لكل البشر ، أو الاحياء حظ من هـذه الرحمة الكاملة ، وتستقر العاطفة فى بيت الأسرة ، ويتم سكون كل من الزوجين إلى الآخر، إذا تبادلا معاً مايعين على هذا السكون، حيث يعامل الزوج زوجته بالحسنى ويباشرها بالمعروف .

وتعاونه هى على أمور الحياة ، وتتوافق معه فى رأيه ، وتراقبه فى غيبته، وتدفعه إلى صالح الأعمال ، وتحقيق الآمال .

ولهذه الركائز، راعى الاسلام : أن تقوم العلاقة الزوجية منذ البداية على الرغبة والرضا والاختيار .

وخوفا من اختلال واحدة من ركائز المودة والسكن ، يوجه الله سبحانه وتعالى المؤمنين الوجهة الصحيحة التي فيها السعادة الزوجية . فيقول تعالى في سورة النساء « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن أبغض منها خلقا رضى لها آخر » .

حياطة قوية ، ووقاية سليمة ، حتى تمضي ريح بيت الزوجية رخاء لينة وفي هذا الجو ، يتمتع الزوجان بحياة سعيدة ، ويعملان معا من أجل الحياة والوصول إلى ذروة ما قدر لهما ولمجتمعهما من الخير والنجاح .

وهذه هي الحياة التي نسجت خيوطها ، بعد بحث وتعرف ودراسة وخطبة ومهر وزفاف واعلان . ليس من اليسير على الشريعة الاسلامية أن تتهاون فيها أو تتساهل في نقضها ، وفصم عراها ، لأدنى مناسبة أو أوهى سبب يدعيه الرجل أو تزعمه المرأة ، ولكن النفوس البشرية ، عرضة للتقلب ، ولمظاهرة الحياة أو لانحراف القلوب نزعات تحاول أن تغير من عواطف الحب والرحمة والسكن وتقطع ما يكون من صلات .

ومن هنا حذر الإسلام : مسايرة النزعة الطارئة وأرشد إلى محاربتها، وعدم التأثر بها ، بل شككك في وجدانها والشعور بها وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النساء « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

أمر بالمعاشرة الطيبة التي يقرها العرف النابع من الكرامة الإنسانية ،

ثم تشكيك فيما يتقرب إلى القلب من بواعث الكراهة والبغض «فإن كرهتموهن» ثم عدة بالخير الكثير على مكافحة تلك البواعث التى تحاول بنزعات الخواطر النادرة أن تنفذ إلى القلوب المتحابة . «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»

لم يقف الإسلام فى علاج نزعات الكراهة بين الزوجين عند هذا الحد الذى وجه إليه نظر الأزواج ، وإنما قدر أيضا أن تمتد هذه النزعات إلى قلب المرأة فتحملها إلى النشوز..

وهنا أرشد الإسلام إلى أن النساء منهن صالحات وشأنهن القنوت والطاعة لله فيما أمر الله من القيام بحقوق الزوجية .

وهذا الصنف من النساء ليس للأزواج عليهن من سلطان قال تعالى فى سورة النساء : «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»

أما غيرهم. وهن اللاتى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ويعرضنها للتدهور والانحلال .

فقد دعا القرآن الكريم لأصلاحهن ، ويردهن إلى مكانتهن الطبيعية . وذلك عن طريق الاصلاح والتأديب .

وهذا الطريق الأصلاحى الداخلى. علاج قد تصل به إلى الهدف المنشود دون أن يسمع الناس ودون أن تعرف المساوىء .

قال الله تعالى : «واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا» .

أولا : وعظ وإرشاد وحكمة ، لأن كثيرا من النساء ، من يؤثر فيهن هذه

اللون من الأدب قال الإمام محمد عبده فى تفسير قوله تعالى: «واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن . » قال : والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر فى نفسها التخويف من الله وعقابه على النشوز.

ومنهن من يؤثر فى نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة فى الدنيا كشماتة الاعداء ، والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلى . والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذى يؤثر فى قلب امرأته .

فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يتخذ معها سواه . فإن أفاد أسلوب الحكمة والتريث وتفتحت عينا المرأة ، وتنبهت لخطر الشقاق والخصام ، كان ذلك أدعى إلى عودة الأمور إلى طبيعتها .

وإن لم يجد هذا الأسلوب ، لجأ الزوج إلى وسيلة أخرى . قد تكون أجدى نفعاً وأبعد أثرا

ثانيا : الأعراض عنها فى فراشها وقد يكون لهذا النوع من العلاج نتائج رائعة فقد تأتى على المرأة عوامل الندم وتصلح ما أفسدت .

والهجر فى المضاجع علاج نفسى بالغ ، وليس عقوبة حسية تؤلم المرأة لما يفوتها من سرور ومتعة . فإن فوات السرور والمتعة أياما ، لا يؤلم المرأة هذا الايلام الذى يجعل الهجر فى المضاجع من أصعب العقوبات .

ويقول الإستاذ رشيد رضا : «أما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ، ويشق عليها هجره أياها ، ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه ، ولا بهجر الحجرة التى يكون فيها الاضطجاع وأنما يتحقق بهجر الفراش نفسه .

وفى الهجر فى المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذى هو فيه ، فإذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها ، رجى أن يدعوها ذلك

الشعور إلى سؤاله عن السبب، ويهبط بها من نشز المخالفة إلى صف الموافقة».

ثالثاً وأن لم يجد أسلوب الهجر لجأ الزوج إلى ملجأ أخر وهو الضرب «واضربوهن فأن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أن الله كان عليا كبيرا» والضرب أمر صعب يلجأ إليه لزوج فى حالات صعبة كما يلجأ الطبيب إلى الدواء المر فى علاج المريض. أبقاء على صحته، والتماسا لعافيته.

والضرب مرلان أشد مرارة منه لدى المرأة هدم صراح الأسرة، وتقويض دعائم بنائها.

وغاية مايفهم من ذكر الضرب أن بعض النساء يتأذبن به ولايتأدبن بغيره وأنه لمن السخف الرخيص أن يقال أن جنس النساء قد يرىء من المرأة التى يصلحها الضرب ولا يصلحها غيره.

وجملة القول أن هذه الوسائل تستنفذ كل حيلة فى الوسع للابقاء على صلة الزواج واتقاء الفرقة بين الزوجين، فعلى الرجل أن يغالب كراهيته للمرأة إذا تحول قلبه عنها، عسى أن يكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا، وعليه أن يجرب النصيحة والهجر والتأديب فأن أفلحت هذة الوسائل التى تنحصر بين الزوج وزوجته، بقيت الصلة ودامت المودة والألفة.

وأن لم تفد هذه الوسائل وتفاقم الشر واشتد الخلاف، ولم يجد أحدهما سبيلا لاصلاح ما بينهما ودعت الحاجة إلى الاستعانة بمن يرأب الصدع ويرتق الفتق. وذلك بحكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة.

وعلى هذا جاءت الآية الكريمة ترسم العلاج فى حالة التفاقم وشدة الخلاف، وعجز الزوجين بأنفسهما عن أزالته: «وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا أصلاحا يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيرا».

يتوخى الحكمان فى ذلك النية الصادقة والاخلاص لازالة الخصام وتخفيف حدة التوتر .

فإن استعصى الصلح وساءت العشرة واتسع الصدع ، وضاق الخناق واستحكمت حلقات الأزمة واصبح من العسير ، عودة المياه إلى مجاريها . فليس هناك إلا التسريح باحسان قال تعالى « الطلاق مرتان فأمساك بمعروف أو تسريح باحسان » ، وقال تعالى « وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وهذا هو الخلاص من جو الكراهية المشبع بالحقد والبغض والنفرة . وقد أباح الله الطلاق بطريق أدبى ، يوحى إلى المرأة والرجل باستئناف النظر فيما حدث وعودة الأمور إلى الطريق الطبيعى .

فجاء الطلاق على ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى . طلاق رجعى يسوغ للزوج بعده أن يراجع زوجته مادامت فى عدتها بغير مهر ولا عقد .

المرحلة الثانية : طلاق بائن بينونة صغرى : يسوغ للزوج أن يراجع زوجته بغير ومهر فى العدة أو بعدها .

المرحلة الثالثة : طلاق بائن بينونة كبرى : لايجوز للزوج فيه أن يراجع زوجته إلا إذا تزوجت رجــلا آخر زواجاً شرعيا صحيحاً به ثم طلقها أو مات عنها .

وحكمة ذلك أن الطلاق الأول قد يكون عن ثورة طارئة يعقبها ندم فكان من حق الزوج أن يراجع زوجته بغير مهر وعقد .

فإن عاود الطلاق كان من الطبيعى أن يشد عليه الشرع فى مراجعة زوجته فإن طلق للمرة الثالثة كانت المراجعة أشد عسراً . ولهذا لم يتح له الإسلام أن يستعيد زوجته إلا إذا تزوجها غيره . .

وذلك أن الرجل يأنف أن يراجع زوجته بعد أن يتصل بها رجل آخر يقتضى هذا أن يضبط الإنسان نفسه، ويتدبر أمره، ويفكر طويلا قبل أن يوقع الطلقة الأخيرة.

فإن لم تفلح قوارع الطلاق مرتين وطلقها الثالثة: تحرم حتى تنكح زوجا غيره زواجا شرعيا، وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته».

والإسلام يخول المرأة أن تطلب الطلاق إذا كرهت البقاء فى عصمة زوجها، فإذا تصالحا على الفراق فذلك خير من البقاء على النفاق الدائم وخير من الفراق على عداوة وكل مايطلب من المرأة فى هذه الحالة أن تعفى الزوج من النفقة، وترد إليه ماله عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت: يارسول الله: ثابت بن قيس ما اعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام فقال رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديقته قالت: نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — أقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

فالشريعة الإسلام لم تضع الطلاق بغير حدود، ولم تبيحه كل الاباحة. فهو ضرورة وحيلة من لاحيلة له فى الوفاق ومع ذلك فهو أبغض الحلال إلى الله.

فمشروعية الطلاق فى الاسلام: جاءت فى حالات لامعدى منها ولا محيد عنها إذا لايجوز أن يعيش الزوجان فى جحيم لا يطاق، وجو مشحون بالغل والحقد الذى قد يؤدى إلى مالا تحمد عقباه من خطر يحمل الزوج والزوجة على الفرار من الدين، أو يدفع أحدهما أو كلاهما إلى الخروج من أنسانيته بقتل النفس وإزهاق الروح.

فالطلاق علاج والعلاج لابحتاجه الصحيح. فإن استقر أمر الزوجين على الطلاق، وعزما على الفراق: فلا يصح أن ينزل الزوج بمطلقته ضررا، من تطويل عليها أو أخذ شيء منها.

قال الله تعالى : « يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ولاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود ومن يتعد حدود فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » ،

فقوله تعالى : « فطلقوهن لعدتهن » أى متقبلات لعدتهن ، وذلك فى طهر لم يمسها فيه .

أما أن كانت حائضا أو فى طهر قد مسها فيه فلايجوز الطلاق .

روى البخارى ومسلم أن ابن عمر طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر ذلك للنبى ﷺ فقال رسول الله ليرجعها ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر فإن بدا له أن يطلقها فيطلقها قبل أن يمسها .

وذلك أن الفترة التى بها الحيض فترة ركود أو نفور أو استجابة لتوازع الغضب أما فترة الطهر فهى الزمن الملائم للامتزاج والتفاهم والاتصال ..

فإذا طلق الرجل زوجته فى الطمث أو طلقها فى طهر مسها فيه ، كان طلاقا بدعيا مخالفا لما سنه الشرع ، وأن وقع فى رأى الجمهور ..

على أن بعض السلف وابن تيمية وآخرين ، ذهبوا إلى أن الطلاق فى الطمث ليس بشىء ، لأنه مخالف لما أذن الله به فهو بدعة لاتزيل عقد الزواج الذى تيقن بالكتاب والسنة والإجماع .

واشترط الإسلام أن يكون الطلاق أمام شاهدين كما كان عقد الزواج أمام شاهدين قال الله تعالى « فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر » .

وفى هذا الشرط إرهاب من الأقدام على الطلاق لأول بادرة ، ثم تسهيل لوقوعه إذا ماوقع حتى لايتلاعب الزوج به .

والطلاق من حق الأزواج والزوجات . أما مايطالب به المثقفون بالثقافات المستوردة ، والكاتبون الذى يعتقدون أنهم يعالجون قضايا اجتماعية من جعل الطلاق بيد القاضى حسب مايقبين له من حيثيات .

فهؤلاء وأولئك قد جهلوا الحقائق التالية :

أولا : أن عدم صلاحية الحياة الزوجية للبقاء قـد يكون سببه نفور طبيعى ، وعدم تلائم فى الأخلاق والطباع وهذه أمور نفسيه يعسر إثباتها .

وقد يكون سبب فساد العلاقة أمراً آخر كسوء سلوك الزوجة أو وجود عيب خفى فيها وما أشبه ذلك . أو غير ذلك من الأمور التى أوجبت الشريعة الستر فيها فهل يكون من المصلحة الاجتماعية نشر ذلك فى دور القضاء وتسجيله فى السجلات . .

وهل يكون من مصلحة الزوجة أن يعرف الناس ذلك . .

وهل من مصلحة الأسر والعائلات أن يشيع بينهم هذا الأسلوب . .

ثانياً : أن أعطاء الزوج حق الطلاق تشريع إسلامى لمصلحة المجتمع ذاته كما تدل على ذلك الآيات القرآنية .

قال تعالى « يأيها النبى إذا أطلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » .

وقال تعالى « يأيها الذين أمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتوهن من قبل أن تمسوهن » .

وقال تعالى « لاجناح عليكم أن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » .

فالقاضى لايجوز له التدخل فى التفريق إلا إذا فات الإمساك بالمعروف أو امتنع الزوج عن التسريح بإحسان .

ثالثاً : أن جعل الطلاق بيد القاضى ، هو حكم على الرجال جميعاً من غير فرق بين مثقف وجاهل بأنهم سفهاء ، لايحسنون التصرف ولا يوثق بهم فى أخص شئونهم وهذا مخالف للواقع ، ومغالطة كبرى .

حكمة مشروعية الزواج

الزواج ركن عظيم من أركان الحياة الاجتماعية ، ومن أجلها شرع الله الله اثنين والأحكام لأن الرجل والمرأة يكمل كل منهما الآخر .

قال تعالى فى أول سورة النساء :

« ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك لأن الزواج هو السبب الأول والأقوم والأعدل فى بقاء النوع الإنسانى على أكمل وجه وأحسن نظام .

وهو الوسيلة الشريفة لتكوين الأسرة الفاضلة ، وسبيل إلى التآلف والتعاون بين أفراد الأمم .

وبالتأمل نرى أن صلة الزواج هى أقوى صلة بين الزوج وزوجته وبين أفراد الأسرتين معاً ونرى أفراد الأسرتين يتعاونون فيما بينهم ويتآخون ويتآزرون لأن الزواج جعلهما أسرة واحدة .

ولولا الزواج لاختلطت المياه واشتبهت الأنساب وضاعت الأولاد لعدم وجود من يدعيها وهذا هو أشد أنواع القتل .

والزواج سبيل إلى العفة وحصن للإنسان من الوقوع فيما حرم الله عز وجل وفيه حفظ للنوع البشرى من الانقراض والضياع .

لأن أولاد الزنا لا يلفشون فى مجتمع إلا وينشرون فيه الفوضى والخراب

بسبب حقدهم وكراهيتهم للمجتمع الذين يعيشون فيه فيحاولون الكيد للمجتمع والانتقام من أفراده .

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى قد حرم الزنا وأمرنا بالزواج وبين لنا الطرق المشروعة لتحقيق الرغبه الجنسية عن طريق مشروع .

بل جعل الإسلام معاشرة الزوجة والاتصال بها ليعف الزوج نفسه ويعف زوجته قربة من القربات .

قال ﷺ :

« وفى بضع أحدكم صدقة » .

فتعجب الصحابة من ذلك وقالوا له : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال لهم : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا نعم فقال ﷺ :

فكذلك إذن وضعها فى حلال كان له أجر .

حسن الاختيار فى الزوج

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

إن كثيرا من الناس حينما يرغبون فى الزواج يبحثون عن زوجة ذات مال أو حسب أو جمال وقل منهم من يبحث عن ذات الدين .

لهذا يرى الكثير منا تلك المشاكل العديدة التى نسمع عنها بين الحين والحين ويحاول الجميع أن يبحث عن حل لمشاكله ومشاكل غيره .

ولو أننا أردنا أن نريح ونستريح ونعيش فى حياتنا سعداء لرجعنا إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة رسول الله ﷺ .

ففيهما الفلاح والنجاح بإذن الله ، ولكن حينما ابتعدنا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ عشنا فى تعب وألم وقل من لا يشكو من متاعب وآلام ومشاكل زوجية .

والسبب فى ذلك هو عدم التمسك بتعاليم الإسلام الحنيف .

قد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس يرغبون فى الزوجة لواحد مما يأتى :

أولا : لمالها :

لأن الناس يظنون أن صاحبة المال تستغنى بمالها عن مطالبة زوجها بمطالب الحياة ، وإن رزق منها بولد وماتت كان المال إليه . وهم لا يهتمون بغير المال

فلا يهتمون بحالها سواء كانت وضيعة أو ذميمة أو سيئة الخلق فما دامت صاحبة مال فكل شيء بعده يهون .

وهم مخطئون فى ذلك :

لأن المرأة إن كانت ذات مال وليس عندها دين فهى فى الغالب تكون طاغية لا تراقب ربها ولا تحسن عشرة زوجها تفعل ماشاءت لأنها تعتقد أنها صاحبة القوامة على الرجل ،

وفى ذلك مخالفة لقول الله تعالى فى سورة النساء :

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، هذا الصنف من الرجال صنف أحمق لأنه تزوج المرأة لمالها فقط وأصبح المال هو الأساس فى الزواج فلو لا المال لما تزوج هذا الرجل بهذه الزوجة وأى عاقل فى هذه الحياة يرضى لنفسه المذلة والإهانة وكيف يقبل الرجل على نفسه أن يكون عبد الامرأة وقد جعل الله له القوامة على المرأة وهل معنى ذلك أن الرجل إذا تزوج بامرأة غنية لايدوم الزواج بينهما ؟ نقول إن تزوج الرجل بزوجة غنية وكان المال هو الأساس فإنه قل أن تدوم العشرة بينهما وتكون المودة والرحمة .

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« من تزوج امرأة لمالها لم يزده الله إلا فقرا » .

وهذا لايمنع أن تكون المرأة ذات مال وذات دين لأن الواجب على من يطلب الزوجة أن يجعل الدين هو الأساس وكل ماوجد من صفات مع صفة الدين فهو أمر حسن مرغوب فيه وبالتالى فليس فيه مخالفة للدين ، لأن الدين حينئذ يمنع الزوجة من ارتكاب ماحرم الله عليها ويمنعها من الإضرار بزوجها .

ثانيا : لحسبها :

والحسب هو : التفاخر بالآباء والأجداد والأقارب مأخوذ من الحساب لأن الناس قديما كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وأجدادهم ، فيحكم لمن زاد عدده على غيره ،

وعلى كل فإن الحسب مرغوب فيه لاسيما الحسب الشريف ،

وقد حذر رسول الله ﷺ من المرأة التى لا حسب لها أو المرأة الوضيعة كاللقيطة وبنت الفاسق ومن لا يعرف لها أصل روى الحاكم : أن النبى ﷺ قال . « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .

وهذا الحديث النبوى الشريف يبين لنا أن العرق نزاع إلى أصله وطبعه فإذا كانت الزوجة ليست من بيت شريف عفيف فإنها ستربى أولادها تربية سيئة وكانت هذه المرأة وبالا على زوجها وأولادها .

وليحذر كل إنسان من المرأة التى لا حسب لها .

كما يجب عليه أن يحسن الاختيار حتى يشعر بحسن المعاملة وتدوم بينهما العشرة ولا داعى للحسب الذميم ، كما لا ينبغى أن يكون الحسب هو الأساس فى معاشرة هذه الزوجة لأن رسول الله ﷺ قد حذرنا من المرأة إذا كانت ذات حسب وليست ذات دين يقول المصطفى ﷺ :

« من تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة » .

ثالثا : ولجمالها :

والجمال مطلوب لاسيما فى المرأة التى تكون قرينة لزوجها ومؤنسة له ويبين لنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ذلك بقوله :

« خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » .

وعلى كل فاعتبار الجمال فى الزواج افضل من اعتبار المال لأن المال صفة زائلة والجمال صفة لازمة .

وهذه الصفة تكون فائدتها أنفع إذا كانت هذه الصفة قد وجدت مع الدين وهذا الحديث لايتنافى مع الأحاديث الأخرى مادامت صفة الدين هى أساس الأحاديث .

روى أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه خطب امرأة فقال له الرسول ﷺ « أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه الترمذى .

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة بالنظر إلى الزوجة قبل خطبتها حتى لايعيش فى تعب وشقاق إن رآها بعد الزواج ولم تعجبه وربما أعرض عنها فيؤذيها .

رابعاً : ولدينها :

والمرأة المتدينة هى التى تعين زوجها على طاعة الله عز وجل وتربى أولادها على الخلق والفضيلة وتهذب طباعهم وتساعدهم على تحمل المسئولية وتشارك زوجها فى أفراحه وأحزانه .

لهذا أكثر الرسول ﷺ قوله بالحث على ذات الدين فقال :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وقال تعالى :

وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » :

روى ابن ماجه؛ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال .

« لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ،

ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن . ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل .

وهنيئا للزوج الذى أختار زوجته وجعل الدين أساس الاختيار فإذا توفرت صفة من الصفات الأخرى فإن الفائدة تكون أتم وأوفى .

لأن الله سبحانه وتعالى شرع الزواج وجعل أساس العلاقة بين الرجل وزوجته المودة والرحمة ، قال تعالى فى سورة الروم .

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

ولا يمكن أن تتحقق المودة والرحمة بين رجل وأمرأه لا يتمسكان بدين الله عز وجل ، لأن من لا يتقى الله عزوجل ولا يراقبه فى أفعاله لا يبالى بما يفعل وبالتالى فإن الحياه بين الزوجين تنقلب إلى جحيم لا يطاق ومن يتأمل فى أحوال الناس ومشاكلهم يعلم تمام العلم أن هؤلاء قد أخطئوا الطريق حينما انحرفوا عن كتاب الله وسنة رسول الله ولم يحسنوا الاختيار لأنهم لم يجعلوا الدين هو الأساس ولهذا ترى المصطفى ﷺ يقول :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

وهذا معناه أنك إن لم تفعل ذلك وتتمسك بذات الدين التصقت يداك بالتراب لأن الزوجة غير المتدينة سوف تجلب لزوجها العار والفضيحة وتجلب له الخراب والدمار .

وهذه الصفات كما يجب توافرها فى الزوجة يجب توافرها فى الزوج أيضا حتى تدوم العشرة والمودة .

وقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال :

« إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وقال رجل للإمام الحسن البصرى رضى الله عنه .

قد خطب ابنتى جماعة فمن أزوجها ؟ قال . ممن يتق الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

وذلك لأن النكاح رق فلينظر الولى أين يضع كريمته ، ومن زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمه وجلب لنفسه ولابنته المتاعب ويكون قد جنى عليها وأساء إليها ، والاحتياط فى حق البنات أهم لأن قطع النزاع بين الزوجين ليس بالأمر السهل لأن العصمة بيد الرجل لا بيد المرأة خاصة إذا كان الزوج ممن لا يراقبون الله تبارك وتعالى :

لكن الدين هو الذى يعصم الإنسان من جميع المهالك والشرور والمتاعب والشقاء .

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن الدين الإسلامى قد حبب إلينا ذات الدين لأن الزوجة هى أساس البيت وبها يستقيم نظامه .

كما طلب من ولى البنت أن يتحرى الدقة فى اختيار الزوج لابنته .

وقد روى فى الأثر :

« من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » .

وفى الحكم المأثوره :

« لاتزوج كريمتك إلا من عاقل ذى دين إن أحبها أكرمها وأن أبغضها لم يظلمها » .

فإن رزق الزوج بزوجة لاتحسن معاملته فعليه أن يهتدى بهدى الإسلام فى علاجها وإصلاح شأنها .

فإن لم ينفع الدواء ولم تستجب لأحكام الإسلام فقد وضع الإسلام الحل الأمثل لقطع المنازعات والخلافات .

قال تعالى :

« واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

ويتضح لنا من الآية السابقة ما يأتى :

الموعظة :

والموعظة لابد وأن تكون باللين والأسلوب الحسن عملا بقوله تعالى :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وعلى الزوج أن يبذل جهده فى وعظ زوجته بالطرق الحسنة بالأسلوب المناسب الذى يفيد وينفع .

فإن لم ينفع الوعظ انتقل إلى الأمر الثانى وهو الهجر فى المضاجع .

ويكون باجتناب الزوجة وهجر فراشها .

وليس هناك أقسى على قلب المرأة من هجر زوجها .

فإن لم ينفع هذا الدواء انتقل إلى الأمر الثالث وهو الضرب .

والضرب المطلوب هو الضرب غير المبرح .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء من سوء معاشرة

الأزواج كما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

مفردات الحديث :

كاسيات : تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه أو تلبس ثوبا رقيقا شفافاً يصف لونها ويظهر مفاتن جسدها .

مائلات : يمشين متبخترات تهتز يمينا ويسارا أثناء مشيتها .

مميلات : يتمايلن بأكتافهن أو يتمشطن مشطة البغايا ويمشطن غيرهن تلك المشطة .

كأسنمة البخت . أى يجعلن من تسريحة شعرهن عصابة ملفوفة مرفوعة إلى أعلى إظهارا للفتنة تشبيها لها بسنام الجمل .

وإذا كان هناك من الزوجات من تسىء إلى زوجها .

فإن هناك من الزوجات أيضا التى تعرف واجبها نحو زوجها فتطيعه وتعمل على راحته فأولئك لهن أجر عظيم وثواب من الله عز وجل على حسن معاشرتهن لأزواجهن .

قال صلى الله عليه وسلم :

خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك .

وقال أيضا :

« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » .

وليحذر كل زوج من الزواج بامرأة غير متدينة لأن ذلك سيجلب له من المتاعب والشقاء مالا يحمد عقباه .

ولكن رائدنا جميعا قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حينما يحذرنا من ذلك فيقول :

« من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » .

وقال ﷺ :

من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءه ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها .

وبارك لها فيه » :

رواه الطبراني في الأوسط .

وفى ذلك إرشاد حكيم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أجل دوام العشره بين الزوجين والشعور بالسعاده والهناء التى من أجلها شرع الزواج .

من أجل هذا نستطيع أن نقول لكل زوج أو زوجة يشكو من الآخر أنظر إلى تعاليم رسول الله ﷺ : وماحث عليه الإسلام وما بينه من تعاليم وأحكام لكل من يرغب فى الزواج .

وبالبحث سنجد أن هؤلاء الذين يعيشون فى تعب ونكد هم الذين لم يحسنوا الإختيار عند الزواج .

لأن كلا من الزوج والزوجة لو أحسن اختيار الآخر . وكان أساس الإختيار هو الدين لعاش كل منهما سعيدا مع الآخر ، لكن . . ما دام الإنسان قد ضل طريقه وسلك طريقا آخر غير الذى رسمه له الإسلام فلا يلومن إلا نفسه .

ومن فضل الله علينا أن جعل شريعة الإسلام واضحة لا غموض فيها ولا إعوجاج .

وإنما جعلها واضحة وضوح الشمس فى يوم خلت فيه السماء من السحب الممطرة .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول :

« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » .

وصية أب

يا حبذا لو انصف الآباء وقدموا إلى بناتهم ليلة زفافهن نصيحة مفيدة تنفع البنت فى حياتها .

وتكون هذه الوصية نابعة من تجربة وخبرة . . فإن ذلك يكون أنفع للبنت وخاصة أنها ستقدم على حياة جديدة لم تألفها من قبل ورحم الله السابقين فلم تفوتهم هذه الفرصة الطيبة ليقدموا إلى بناتهم نصيحة غالية ليلة الزفاف .

وإليكم نصيحة واحد من هؤلاء الآباء الأجلاء .

روى صاحب القوت والبيهقى فى الشعب عن أسماء بن خارجة الفزارى وكان هذا الرجل من حكماء العرب .

أنه قال لإبنته عند زفافها إلى زوجها .

« يا بنية — قد كانت والدتك أحق بتأديبك منى أن لو كانت باقية :

أما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيرى فافهمى عنى ما أقول :

إنك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لا تألفينه .

فكونى له أرضاً يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة لك يكن لك عبدا ، ولا تلحى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، فإن من بعد عن العين بعد عن القلب .

إن دنا منك فادنى منه ، وإن نأى عنك فابعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشم منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا » .

وكونى كما قلت لأمك ليلة ابتنائى بها .

خـــذ العفـو منى تستديمى مـودتى
ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين أين المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
فيأباك قلبى والقـــلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

هكذا الآباء العقلاء يقدمون النصائح الطيبة حتى يستفيد بها البنات رحمة بهن وشفقة عليهن حتى تدوم المودة وتنعم الأسرة بحياة زوجية طيبة .

وصية أم لابنتها

والتاريخ العربي ملىء بالوصايا العديدة سواء كانت هذه الوصايا من الآباء أو الأمهات .

وقد كانت المرأة العربية حريصة أشد الحرص على سعادة ابنتها وهناءتها في بيت زوجها لأنها كانت تشعر بأن ابنتها امتدادها وبقدر ما توصف به من حسن معاشرتها للزوج تكون سعادتها .

وهذه وصية من وصايا الأمهات لإحدى البنات ليلة الزفاف .

لما تزوج الحارث بن عمر ملك كنده ابنة عوف بن محلم الشيبانى وأرادوا أن يحملوها إلى زوجها .

قالت لها أمها :

« أي بنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه .

فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبداً .

يا بنية : احملي عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا .

الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيب

ويح ، والكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل ، حسن التدبير ، ولا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك » .

ويذكر التاريخ أن هذه الزوجة قد حلت إلى زوجها وسلمت إليه فعظم موقعها منه ، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن من بعده .

وماسعدت البنت إلا لأنها استفادت من موعظة أمها لها وعملت بما سمعت .

فلما أحسنت معاملة زوجها أحسن زوجها معاملتها لأن الجزاء من جنس العمل . والانسان كما يزرع يحصد وصدق الله عز وجل إذ يقول :

« وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان »

فما أحوج بنات اليوم إلى نصائح طيبة من الآباء والأمهات وما أحوجنا جميعا إلى من يقدم إلينا النصائح المفيدة التى تترك فى أنفسنا ذكرى طيبة وتهدينا إلى الطريق الأمثل .

ما أحوجنا وقد كثرت الشكوى وعمت البلوى وأصبح الكل فى ضيق شديد وطغت المادية على كل شىء .

وأصبح الزوج يكيد لزوجته والزوجة تكيد لزوجها .

ماأحوجنا جميعا إلى الرجوع إلى تاريخنا المجيد ففيه الأصالة وفيه الخير للجميع .

وياحبذا لو تمسك الجميع بكتاب الله وسنه رسول الله ﷺ وأصبح المسلم يقدم النصيحة لأخيه خالصة لوجه الله الكريم .

وصدق الله عز وجل إذ يقول وهو أصدق القائلين :

« وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

وصية أم لولدها

ومن هذه الوصايا الطيبة وصية أم لولدها عند سفره ليكون مثلا طيباً أمام أمهات اليوم ليتعلمن من الأم المسلمة الذكية الواعية التى عاشت فى عصر لاتعرف فيه أى شىء عن وسائل الإعلام الحديثه فلم تشاهد التلفزيون ولم تستمع إلى أجهزة الراديو ولم تقرأ الصحف أو المجلات ، ولم تدرس فى جامعة من الجامعات ، وإنما تعلمت من الحياة ، وكانت الخبرة والتجارب هى أساس هذه النصيحة .

جاء فى الأمالى لأبى على القالى : قال أبان بن تغلب - وكان عابدا من عباد البصرة - شهدت أعرابية وهى توصى ولدا لها يريد سفرا وهى تقول له :

أى بنى . أجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك .

قال ابان : فوقفت مستمعا لكلامها مستحسنا لوصيتها فإذا هى تقول :

أى بنى إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين . وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق أن لايثبت الغرض على كثرة السهام وكلما اعتورت السهام غرضا إلا كلمته حتى يهى ما أشتد من قوته ، وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريما يلين لهزتك ، ولاتهزز اللئيم فإنه صخرة لاينفجر ماؤها ، ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك ، فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لايرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه ما فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ثم امسكت

فدنوت منها وقلت : بالله يا أعرابية إلا زدته فى الوصية ، فقالت :

أو قد أعجبك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت نعم : قالت : والغدر أقبح

ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة وبطنها وسربالها

فهل نطمع في امرأة مسلمة في هذا العصر أن تكون كهذه المرأة المسلمة الطاهرة التي أحسنت تربية أولادها ولم تنس أن تقدم لولدها هدية ثمينة عند سفره فقدمت له خلاصة زمن طويل مضى فدلت بحق على أن المرأة المسلمة في الزمن الماضي كانت خير أم وخير زوجة لأنها لم تنس واجبها نحو أولادها ولا نحو زوجها وبيتها .

والتاريخ الاسلامي خير شاهد على ذلك .

فحينما هذبت الأم طباع أولادها وربتهم على التمسك بالخلق والفضيلة وعدم الخوف ، نشأ الأطفال أعزاء كرماء لم يخافوا من سلطان ولم يعرفوا النفاق والخيانة :

وهذا هو سيدنا عبد الله بن الزبير بن العوام وابن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع .

أنظر إليه عندما كان طفلا صغيرا يلعب مع الأطفال في الطريق ونظر الأطفال وهم يلعبون فرأوا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ وهو يمر بالطريق أنظر أيها القارىء الكريم : ماذا حدث؟

لقد هرب الأطفال جميعا حينما أبصروا سيدنا عمر رضي الله عنه يمر بالطريق الذين يلعبون فيه .

هرب الجميع إلا سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وهو يومئذ طفل صغير .

فسأله سيدنا عمر رضي الله عنه :

لماذا لم تهرب كما هرب زملاؤك ؟

فأجاب سيدنا عبد الله بن الزبير في ثبات وشجاعة :

ما أذنبت حتى أخافك

وليست الطريق ضيقة فأوسعها لك

هذا الطفل الصغير قد أصبح رجلا وكان من عظماء الرجال المخلصين المؤمنين ووقفت أمه من خلفه تحرضه على الجهاد فى سبيل الله عز وجل وهى تقول له :

يابنى : إن الشاة لايضرها السلخ بعد الذبح

أخى المسلم :

تلك هى الأم المسلمة والزوجة المؤمنة .

زوجة تؤدى حق زوجها وتعرف واجبها نحو تربية أولادها وصدق الشاعر العربى حينما قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا بالرى أورق أيما إيراق

وجدير بكل مسلم أن يختار الزوجة المسلمة التى تعينه على تربية أولاده التربية الإسلامية الحقة والتى تبعد أولادها عن الانحراف والوقوع فيما حرم الله عز وجل .

ولهذا فقد بين الاسلام الطريق الأمثل لمن يرغب فى الزواج

ورغب الاسلام فى الزوجة المتدينة فقال ﷺ . « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »

وعلى الزوجة أيضا أن تحسن اختيار زوجها لأن الزوج شريك الزوجة والزوجة شريكة لزوجها وهما متضامنان فى تربية أولادهما فإن أهملا تربية الأولاد كان ذلك وبالا عليهما .

وقد بين لنا رسول الله ﷺ أن المولود يولد وعنده الاستعداد التام ليشكله من بيده تربيته فهو كالعجينة فى يد الخباز يشكلها كما يشاء .

فعن أبي هريره رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : إقرءوا إن شئتم قول الله عز وجل «فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ولكن أكثر الناس لايعلمون

ولكى تدوم المودة والمحبة بين الزوجين نذكر مابينه الإسلام الحكيم من تعاليم وارشادات حكيمة حينما بين حق كل من الزوجين على الآخر وحتى تتحقق الحكمة المرجوة من الزواج فتسعد الأسرة وينعم الأولاد فى ظل حياة أسرية سعيدة بعيدة عن الخلافات والمشاكل الأسرية .

لأن الأسره لم تعرف المشاكل ولم تشعر بالمتاعب إلا منذ أن ابتعدت عن تعاليم الإسلام وإرشاداته الحكيمة فياحبذا لو أنصف كل من الزوج والزوجة وتمسك كل منهما بتعاليم الإسلام وإرشاداته وأحكامه .

ففى ذلك الفلاح والنجاح والسعادة إن شاء الله .

حقوق الزوجين

لكل من الزوجين حقوق ثابتة على الآخر ، فللزوجة على زوجها حقوق وللزوج على زوجته حقوق

أما حقوق الزوجة فنجملها فيما يلى .

أولا : الانفاق عليها من غير إسراف ولا تقتير

لقوله عز وجل :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها » .

ثانيا : الكسوة :

لقوله عز وجل :

« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن »

ثالثا : المسكن الشرعى اللائق بها

لقوله عز وجل :

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم »

رابعا: العدل بين الزوجات وذلك فيمن كان متزوجا بأكثر من واحدة لقوله ﷺ :

« من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » .

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته ويعدل بينهن ويقول :

« اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » .

خامسا : إرشاد الزوجة إلى طريق الحق والصواب وإبعادها عن مواطن الشر لقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

والزوج هو راعي الزوجة والمسئول عنها .

قال ﷺ :

« الرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته » .

سادسا : معاشرتها بالمعروف .

وذلك لقوله عز وجل :

« ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

وقوله عز وجل :

« وعاشروهن بالمعروف » .

سابعا : أن يحسن خلقه معها :

وقد عظم الله حق الزوجة على زوجها حينما قال :

« وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

وقال ﷺ :

« الله الله في النساء فإنهن عوان - أسيرات - في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله » .

وقال ﷺ مبيناً فضل الرجل الذى يحسن خلقه مع زوجته ويحسن معاشرتها .

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

وقال فى حديث آخر :

« استوصوا بالنساء خيراً » .

ومن مكارم الأخلاق مع الزوجات أن يداعب الزوج زوجته لأن ذلك أطيب إلى قلبها .

وقد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال :

« ينبغى للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبى » .

ووصفت زوجة أعرابى زوجها فقالت :

كان ضحوكا إذا ولج ، سكيتاً إذا خرج ، آكلا ما وجد غير سائل عما فقد .

وعلى الزوج أن لايفرط فى مداعبتها حتى لاتفسد أخلاقها وتسقط هيبته عندها فتسوء العشرة وتظهر الفوضى فى بيت الزوجية ويضيع الأولاد بسبب عدم من يهابونه لأن الزوجة قد أسقطت هيبة الزوج .

ثامناً : احتمال الأذى من الزوجة بما لايمس العرض أو الشرف أو الخلق وقد كانت أزواج الرسول ﷺ يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن اليوم والليلة .

وغضبت السيدة عائشة رضى الله عنها مرة فقالت لرسول الله ﷺ :

«أنت الذى تزعم أنك رسول الله ؟

فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك منها حلماً منـــه صلوات الله وسلامه عليه .

وسيدنا عمر رضى الله عنه قد راجعته زوجته فقال: أتراجعيننى بالكاع؟

فقالت : إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك.فسكت.

وفى ذلك إشارة إلى أنه من الواجب على الزوج أن يتحمل الأذى من زوجته وأن يحاول تهذيب أخلاقها بقدر مايستطيع أما إذا زاد الأمر عن حده فإنه ينقلب إلى ضده .

وكل خلق من الزوجة يهون إلا مايمس الشرف والسمعة فذلك أمر لايحتمل مهما كانت الأسباب لأنه كما قيل :

كل جرح يداوى إلا جرح الشرف .

ومايتعلق بالعرض أمر غير محتمل ولن نستطيع أن نقول للزوج تحمل واصبر بل نقول له : تخلص من هـــذه الزوجة الشريرة وتخلص من العار والفضيحة .

وصدق من قال :

أصون عرضى بمالى لا أدنســـه

لا بارك الله بعد العرض فى المـال

أحتال للمـال إن أودى فأجمعه

ولست للعرض إن أودى بمحتال

تاسعاً : تعليمها العلم النافع :

بأن يعلمها فرائض الدين وتعاليمه وأحكامه من عقائد وعبادات ومعاملات وحقوقه عليها وأن يبين لها أن الإسلام قد أوجب عليها العفة والأمانة وصيانة نفسها وماله .

وكذلك من الواجب عليه أن يعلمها الآداب الزوجية وتدبير المنزل وتربية الأطفال والاقتصاد في المعيشة وغير ذلك .

وقد قال المصطفى صلوات وسلامه عليه :

« النساء شقائق الرجال » .

عاشراً : لا يجوز للزوج إفشاء سر زوجته :

وقد حذر المصطفى ﷺ من ذلك فقال :

« إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة - الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

حادى عشر : يجب على الزوج أن يحمي زوجته وأن يغار عليها وأن يحفظ كرامتها لأن الغيرة من علامات الإيمان ومن لا غيرة له لا إيمان له .

وعليه أن يمنعها من الخلوة بالأجنبي ومن الخروج من البيت لغير ضرورة شرعية .

وقد قال سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه :

« ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج من بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها » .

وقالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

« خير للمرأة أن لاترى رجلا ولا يراها رجل » .

وأنظر ياأخى المسلم إلى هذه التعاليم والإرشادات التى ذكرها لنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وأنظر أيضا إلى قول السيدة فاطمة الزهراء البتول ابنة السيد الرسول تجد فيهما الخير كل الخير .

وقد قيل ماقيل : فى زمن كانت القلوب عامرة بالإيمان خائفة من عذاب الله عز وجل .

أما الآن وقد تغير الحال وفسدت الطباع وخلت القلوب من الإيمان فكيف يكون الحال وقد تجردت المرأة من ملابسها إلا القليل وأصبحت تختلط بالرجال آناء الليل وأطراف النهار .

وماجرنا إلى هذه الفوضى إلا ابتعاد الإنســـان عن خالقه وعدم مراقبته لله عز وجل .

حقوق الزوج :

أما حقوق الزوج على زوجته فهى :

أولا : الولاية والرياسة : يؤدبها ويأخـــذ على يدها حتى لاتخالفه فى معروف ولا تحرجه فى أمر قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم .. وقال تعالى «للرجال عليهن درجه » والرجل زعيم المرأة وسيدها لقوله تعالى : « وألفيا سيدها لدى الباب » يريد زوجها .

ثانيا : طاعة الزوج فيما يطلب فيما لا معصية فيه : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت إنى امرأة أيم واريد أن اتزوج فما حق الزوج ؟ قال : « إن حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ، ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن جاعت وعطشت لن يتقبل منها ، وإن خرجت من بيتها بغير إذن لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

ثالثا : أن تصون نفسها وتستر عورتها لقوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

وقوله تعالى :

« يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » . وقوله تعالى « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ودخلت أسماء رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا » ، وأشار إلى وجهه وكفيه .

رابعا : أن لا تطلب ماوراء الحاجة ، فلا تكلفه مالا يطيق بل ينبغى لها أن تواسيه بمالها إن نزلت به نازلة أو قدر عليه رزقه ، وتطيب نفسها بذلك « فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » .

خامساً : أن لا يدخل أحد يكرهه زوجها إلى بيته إلا بإذنه لقوله ﷺ « إلا أن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن

أن لا يوطئن فراشكم من تكرهون ولا يإذن فى بيوتكم لمن تكرهون » .

سادساً : إظهار البشر له فتقابله فرحه مسروره ملازمه لما يرضيه لقوله ﷺ « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » .

وإن اهمال هذه الحقوق وعدم القيام بها يعرض الأسرة لمتاعب لا حصر لها يظهر أثرها جليا فى تلك القضايا التى تزدحم بها المحاكم الشرعية . فمن قضايا النفقة والطلاق التى تقيمها الزوجات ، إلى قضايا الطاعة وضم الأولاد التى يقيمها الأزواج ، إلى قضايا أخرى لا تسمع لمخالفتها للقوانين الجديدة كقانون تحديد سن الزوجين وغيره من قوانين زادت رقعة مشاكل الأسرة إتساعا وما من شك فى أن هذه القضايا وما يتفرع عنها ويترتب عليها هى علة ما تقاسيه الأسرة المصرية من شقاء وعدم إستقرار .

تسوء العلاقة بين الزوجين لأى سبب من الأسباب فتطرق الزوجة باب المحكمة الشرعية تطالب زوجها بالنفقة فيقابل الزوج هذا الهجوم بهجوم مضاد ويرفع دعوى هو الآخر يطالب فيها زوجته بدخولها فى طاعته فتعمد الزوجة إلى حكم النفقه أو أى حكم آخر وتوقع به حجزا على مسكن الطاعة ليتجرد من شرعيته ، ويرفع الزوج دعوى ثانية يحدد فيها سكنا جديداً ، فإذا قدر له أن يفوز فى هذه المرة بحكم فإن الزوجة تستشكل فى تنفيذه زاعمة أن المسكن مشغول بسكنى أحد أقاربه وتعرض قضية الأشكال من جديد أمام المحكمة وقد تثبت الزوجة دعواها بشهادة شاهدين ، وقد تقرر المحكمة معاينه المسكن بواسطة شخص تنتد به وقد يكون هذا الشخص ضعيفا فيقع تحت تأثير أحد الطرفين وفى كثير من الأحوال يكون الدافع للمرأة على أمان دعوى النفقه هو اثقال كاهل زوجها ليطلقها تحقيقا لرغبتها أو رغبة فى التخلص منه ، ولإن أثارت هذه المشاغبات عجبك فأكثر من ذلك إثارة للعجب أن تسير المحكمة مع الزوجين إلى نهاية الشوط وكأنها

بذلك تشاركهما في عبثهما وتعطى لخصوم الشريعة الإسلامية أسلحة يحاربونها بها .

ولو أنصف الناس فيما بينهم وراقب كل من الزوجين ربه لما شاهدت ساحة المحكمة تمتلىء بالقضايا العديدة بين الزوج وزوجته ولا أدرى كيف يستسيغ هؤلاء تلك الألفاظ التي يتلفظون بها أو كيف يرضون لأنفسهم أن تشهد ساحات المحاكم ما كان يدور بينهم في سرية تامة وفي أماكن لا يجرؤ أحد أن يدخلها إلا من أباح الله له ذلك .

ولكن الناس انصرفوا عن طريق الحق والصواب وابتعدوا عن أحكام الله عز وجل وعن تشريعاته الرشيدة وزين لهم الشيطان أعمالهم فانطلق كل من الزوجين يعمل من أجل الكيد للآخر ويعمل على التشهير به والاساءة إلى سمعته .

ولو أن القاضى استلهم روح الشريعة الاسلامية وأراد أن يعالج هذه القضايا الاسلامية على ضوء تعاليم الدين الاسلامى لأمكنه ذلك بتطبيق تشريعات الله عز وجل .

ولو فعل ذلك لقضى على كثير من المشاكل في مهدها ولكن كثرة القضايا اليومية التي ينظرها القاضى لا تساعده على بحث الحقيقة ولا تسمح له بأن يبحث كل مشكلة بحثا جذريا وهو في نفس الوقت لا يريد أن يتعب نفسه ويضيع وقته في بحث هذه القضايا العديدة .

ولو أنه أراد الاصلاح لوجد الدواء الشافى من كتاب الله عز وجل ومن سنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ولنتأمل في قول الله عز وجل .

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » .

ولو أن القاضى طبق حكم الله فى ذلك وعهد إلى رجلين مخلصين من أقارب الزوج والزوجة لبحث أسباب الخصومة بين الزوجية ومحاولة إزالتها والعمل على إيجاد حل يعمل على راحة كل من الزوج والزوجة لكان ذلك أنفع وأصلح .

ومن فضل الله علينا وعلى الناس أن القرآن الكريم لم يترك لنا صغيرة ولا كبيرة إلا بينها ورسم لنا الحل الأمثل لحلها وسنة رسول الله ﷺ فيها الكثير والكثير لعلاج هذه المشاكل فإذا كرهت الزوجة زوجها ورغبت فى الخلاص منه فعليها أن تخفف عن الزوج بأن ترد له كل ما أخذت حتى تطيب خاطره وتهون عليه لأنه ليس من المعقول أبداً أن تطالب زوجة زوجها بالطلاق وتجاب إلى طلبها ويترك الزوج المسكين فارغ اليدين بعد بذل كل رخيص وغال من أجل الوصول إلى تحقيق غرضه فى الاقتران بهذه المرأة ولا يهمنا إن كانت الزوجة ظالمة أو مظلومة لأن الواجب على كل من الزوج والزوجة أن يتقى ربه وهو أعلم بما فى النفوس والصدور وهو أقرب إلى الانسان من نفسه وقلبه وهو أعلم بمن اتقى فما دامت الزوجة تطلب التطليق من زوجها فأولى لها أن تضحى كما ضحى الزوج أولا .

لأننا نطالب الزوج عندما يطلق زوجته بأن يدفع النفقه إلى زوجته ومؤخر صداقها وما يترتب على الطلاق من حقوق وواجبات جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله : ثابت ابن قيس لا أعيب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الاسلام — تريد بالكفر : عدم القيام بحقوق الزوج كما أمر الله عز وجل وليس المراد حقيقة الكفر .

وفى رواية أنها قالت :

إنى رفعت جانب الخباء فرأيته قد أقبل مع عدد من أصحابه فإذا هو

أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها ، فقال زوجها : يا رسول الله إنى قد أعطيتها أفضل مالى فقال صلوات الله وسلامه عليه .

أتردين عليه حديقتـه ؟ قالت نعم : وإن شاء زدته فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

« إقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

وهذا هو أول خلع وقع فى الاسلام فتلك تعاليم الاسلام واضحة ، ناصعة بيضاء لا ريب فيها ولا أعوجاج لا يزيغ عنها إلا هالك أو فاسق أو منافق .

والمسلمون الأوائل حينما فهموا أحكام الشريعة الاسلامية وطبقوها أراحوا واستراحوا لأن الحل الأمثل أمامهم يطبقونه دائماً حتى لا يعيشوا فى مشاكل أو متاعب وهذا هو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير على هذا النهج الحكيم ويفرق بين زوجين ظهر له بعد مناقشتهما أن الحياة بينهما مستحيلة ولا يمكن أن يشعر كل منهما بالمودة والرحمة التى من أجلها شرع الزواج حيث قال الله عز وجل فى محكم كتابه .

« خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فحينما ظهر لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الزوجة تكره معاشرة زوجها فرق بينهما .

فقد أتى بامرأة ناشز فأمر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تبيت هذه الزوجه فى مكان كربه .

وأرسل إلى هذه الزوجه فى الصباح وسألها سيدنا عمر فقال لها كيف وجدت حالك فى هذه الليلة .

فقالت الزوجة :

ما وجدت راحه منذ أن كنت عنده إلا هذه الليلة التى حبستنى فيها فى هذا المكان :

فقال لزوجها :

إخلعها أى طلقها تطليقة .

وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على سماحة الاسلام وعدالته .

فتلك العلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته لا ينبغى أبداً أن تبنى على المشاكل ولا يكون هناك مشاكل بين الزوج وزوجته لأن ذلك ينعكس على طبيعة الانسان وعلى تصرفاته والرجال والنساء فى ذلك سواء .

ويأليت الأمر يقف عند هـذا الحد بل يتعداه إلى الأولاد فتراهم يعيشون فى متاعب نفسية ويشعرون بالمتاعب والآلام ويصابون بالأمراض .

وبالرجوع إلى الحقيقة نجد أن المشاكل هى التى جلبت للأسرة تلك المتاعب .

فكيف ينعم الطفل الصغير بالسعادة بين أبوين وهما لا يشعران بالسعاده ؟ بل كيف ينعم كل من الزوجين بالعيش مع الآخر وهما يعيشان فى تنافر ؟

وما لهـذا أمر الله كلا من الزوجين أن يعيش مع الآخر تحت سقف واحد ،

وإنما شرع الله الزواج وأمر الله كلا من الزوجين أن يعيش مع الآخر

فى بيت واحد وتحت سقف واحد من أجل المودة والرحمة والسعاده والهناء .

والأسره هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع فإذا صلحت الأسره صلح المجتمع وإذا فسدت الأسره فسد المجتمع كله .

قال تعالى فى أول سوره النساء .

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

الحكمة فى تعدد الزوجات

يقول الله عز وجل :

فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لاتعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم » .

وهذه الآية الكريمة صريحة فى إباحة التعدد بشرط تيقن العدل بين الزوجات وعدم إيقاع ظلم على زوجة من الزوجات .

والعدل معناه : التسوية بين الزوجات فى المسكن والنفقة والمبيت ولايدخل الميل القلبى فى هذا لأن العبد لايملك ذلك .

والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

ولنا فى رسول الله ﷺ قدوة طيبة وأسوة حسنة فقد ثبت أنه قال :

« اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك » .

وعلى ذلك يحمل قول الله عز وجل :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم فلا تميلو كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

ففى قوله تعالى : « فلا تميلوا كل الميل » إشارة إلى إن بعض الميل قد يكون لأن هذا ليس من مقدور الزوج .

وليس من المعقول أن يبيح الله سبحانه وتعالى للزوج أن يتزوج بأربع زوجات ثم يمنعه من ذلك لوجود للميل القلبى نحو بعض الزوجات دون بعض ، وهو أمر لايقدر عليه الإنسان ولا يملكه .

والجمع بين أكثر من واحدة قد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع .

وعن قيس بن الحارث رضي الله عنه قال : أسلمت وعندى ثماني نسوة فأتيت الرسول ﷺ فذكرت ذلك له فقال :

« اختر منهن أربعا » . رواه أبو داود وابن ماجه .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

أسلم غيلان الثقفي وتحته عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعا . رواه أحمد والترمذى .

وعن نوفل ابن معاوية قال :

أسلمت وتحتى خمس نسوة فسألت النبي ﷺ فقال :

« فارق واحدة وأمسك أربعا » . رواه البيهقى .

وفى هذه الأدلة الواضحة خير دليل على إباحة التعدد إذ لو كان التعدد ممنوعا فى الإسلام لأمر الرسول ﷺ كل زوج عنده أكثر من واحد أن يمسك واحدة ويطلق الباقى فيما زاد على واحدة بل إن هنـــاك من تعاليم الرسول ﷺ ما يؤكد إباحة الإسلام لتعدد الزوجات .

فعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« للبكر سبعة أيام وللثيب ثلاث ثم يعود إلى نسائه » رواه الدارقطنى .

ولو كان التعدد ممنوعا لما بين رسول الله ﷺ طريقة القسم بين الزوجات .

والإسلام حين أباح التعدد أراد أن يتمشى مع ظروف كل إنسان فى كل زمان ومكان ويعالج أدواء المجتمع علاجا سليما يقضى على ألوان الفساد قضاء مبرما .

فأباح الإسلام للرجل أن يتزوج بزوجة أو اثنين إلى أربع ليحارب جريمة الزنا واتخاذ الأخدان والخليلات .

ولينطبق بهذا التعدد على الزوجة العقيم أو المريضة إذا أراد زوجها أن يتزوج بزوجة أخرى سليمة صالحة للإنجاب رحمة بالمريضة أو العقيم وحرصا على راحتها

ولو كان التعدد ممنوعا لكان نصيب هذه الزوجة البائسة هو الطلاق فهل يكون ذلك من العدل أم لا ؟

رجل تزوج بزوجة ومرضت أيطلقها ويتزوج بغيرها أم يبقيها ويتزوج بزوجة أخرى ؟؟ أيهما أخف على نفسية المرأة ؟

وسوف تجد الاجابة على ذلك: إن إبقاء الزوجة المريضه فى بيت زوجها أفضل بكثير من طلاقها

وحينما أباح له الاسلام ذلك نظر إلى حكمة أخرى وهى حالة الزوج النفسية حينما لا يجد فائدة فى زوجته إما أن يذهب لاتخاذ الخليلات والعشيقات أو يعيش مع هذه الزوجة بنفس غير راضية وحياة كلها نكد وألم ولا يبحث عن علاج الزوجة ولا يعمل على راحتها ويتمنى اللحظة التى تأتى ليستريح فيها من هذه الزوجة

ونرى فى أعقاب الحروب يكثر عدد النساء ويقل عدد الرجال : فلو لم يعالج الاسلام هذه المشكلة بإباحة التعدد ويوجد الحل لهذا العدد الكثير من النساء لكانت المصيبة العظمى والطامة الكبرى نتيجة لفقدان العائل ومن يقوم على شئونهن من الأزواج

وإن دول أوربا التى منعت التعدد زمنا طويلا نراها عقب الحروب قد نادت بإباحة التعدد حفظا لكرامة الزوجة وصونه لعفافها ونسلها

قال غستان لوبون فى كتابه : روح السياسة

إن تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقين خير لأنه يقضى على تعدد الزوجات الخبيث المؤدى إلى زيادة اللقطاء عند الغربيين

وهذه كاتبة غربية تقول فى جريدة لا غوص :

البلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوربى على الإكتفاء بواحدة ، فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة ،

وقالت هذه الكاتبة :

فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبالأمهات ماهن فيه من العذاب .

فهل يجوز لعاقل بعد هذا أن يقول : إن التعدد ليس من الإسلام فى شىء ويقوم على مناهضته من أعمى الله بصيرتهم وختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة .

لأن إباحة التعدد قد ثبت بنص القرآن الكريم وبسنة رسول الله ﷺ وبإجماع الأمة الاسلامية ؟

ومن ينكر إباحة التعدد فإنما هو كافر لإنكاره نصا من نصوص الشريعة الاسلامية الغراء الذى ثبت تواتر نقلها عن طريق الكتاب، والسنة والاجماع .

وما أباحه الله لا يقيده إنسان .

حكمة تعدد زوجات الرسول

إن من ينظر إلى حياة رسول الله ﷺ ويقف عند زواجه بكل زوجة يقف على حقيقة الأمر ويعلم أن رسول الله ﷺ إنما تزوج بعدد كثير من النساء وتجاوز بالعدد الذى أباحه لغيره لحكمة بالغة ومصلحة اجتماعية والتى توضح لنا أن الرسول ﷺ لم يكن رسول دين فقط بل كان رسول دين واجتماع وإصلاح وتهذيب .

ونلخص الآن الأسباب الداعية إلى تعدد زوجاته والتى تبرىء الرسول ﷺ من كلام المغرضين وتشكيك المشككين .

وكما هو معروف أن أول زوجات الرسول ﷺ هى السيدة خديجة رضى الله عنها وقد تزوجها الرسول ﷺ قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة .

ولم يتزوج عليها الرسول ﷺ حتى توفيت .

وسبب زواج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضى الله عنها أنها كانت ذات مال كثير وكان قد سبق لها الزواج قبل زواجها برسول الله ﷺ وتقدم لزواجها عدد كثير من أشراف مكة كلها ورفضت الجميع لأنها علمت بأن الجميع يطمع فى مالها .

وكان لها تجارة عظيمه فلما سمعت بأمانة رسول الله ﷺ أرسلت إليه وعرضت عليه أن يتاجر لها فى مالها وقبل الرسول ذلك وسافر معه عبدها ميسرة .

ولما عاد بالتجارة أخبر العبد ميسرة سيدته بما رأى من بركات الرسول ﷺ وزادت دهشتها أكثر حينما لاحظت أن التجارة فى هذا العام قد زادت أضعاف أضعاف ما كانت تربح قبل ذلك :

فأعجبت بأمانته وخلقه ونزاهته وسمعته الطيبة .

ونتيجة لذلك قد تم الزواج المبارك بين رسول الله والسيدة خديجة وقد رزقه الله منها بالولد ، وأنجبت له جميع أولاده ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات ولم يتزوج عليها في حياتها ولو كان رجلا شهوانيا أو صاحب نزوة لتزوج وهو في عنفوان شبابه لاسيما وانه كان مرغوبا فيه بين الناس لما اشتهر به من مكارم الأخلاق وحميد الخصال والجمال الذى فاق به يوسف عليهما السلام .

الثانية :

بعد أن ماتت السيدة خديجة رضى الله عنها تزوج النبي ﷺ سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن جاوزت الخامسة والخمسين من عمرها وكانت من السابقين إلى الإسلام وهاجرت مع زوجها السكران بن عمرو الأنصارى إلى الحبشة في المرة الثانية ومات عنها زوجها عقب رجوعه من الهجرة وكانت قد أسلمت وتركت أهلها لأنها خالفت دينهم .

وما أعظم مافعله الرسول مع تلك السيدة الفاضلة المؤمنة لقد كرمها أحسن تكريم وعوضها عن زوجها خيرا وهذا هو عين الحكمة ومنتهى الشفقة والحنان بعد أن أصبحت لا حامى لها ولا مدافع عنها سوى أقاربها الذين خالفت دينهم وأسلمت رغم أنوفهم .

ولولا موقف الرسول معها وتزوجه بها لا ارتدت على أعقابها خاسرة وكان ذلك أكبر سلوان لها على فقد زوجها وقد عوضها الله خيرا بتشريفها من الزواج برسول الله ﷺ .

الثالثة : هى السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها :

بعد أن مات أبو طالب عم النبى ﷺ أشتد الأذى برسول الله ﷺ فرأى أن يجعل بينه وبين قريش رابطة قوية فعقد زواجه على السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى بكر صغيرة بين السادسة والسابعة من عمرها .

وذلك لأن أبا بكر كان ذا وجاهة فى قومه وكما يشهد التاريخ أنه كان الساعد الأيمن لرسول الله ﷺ وقد ضحى بماله وبكل ما يملك من أجل نصرة الإسلام والمسلمين وقد بادر النبى ﷺ بالعقد عليها بالرغم من صغر سنها ولم يدخل بها إلا وهى بنت تسع سنين .

ومن هنا نلحظ أن السيدة عائشه رضى الله عنها عند العقد عليها لم تكن محلا لقضاء شهوة لأنها لم تكتمل فى ذلك الوقت أنوثتها وبالتالى فليست ممن يفتتن بها وهى فى مثل تلك السن ولكن هذا هو عين الحكمة والصواب الذى أيد الله به رسوله محمدا ﷺ .

الرابعة : حفصة :

لم يتزوج النبى ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب طمعا فى مالها أو رغبة فى جمالها ولكن لحكمة بالغة وهى :

أنها كانت متزوجة من رجل اسمه خنيس ابن حذافة وقد استشهد فى غزوة بدر وحفصه رضى الله عنها لم تكن ذات جمال فأراد الرسول أن يتزوجها تكريما لزوجة الشهيد الذى ضحى بماله من أجل الاسلام وتكريما لوالدها عمر بن الخطاب وتكريما للمرأة الفاضله لأنها كانت مواسية للجرحى فى غزوة بدر ، فتزوجها الرسول ﷺ وبهذا تظهر الحكمة من زواجها .

الخامسة : أم حبيبة :

هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب واسمها (هنداً او رملة) .

تزوجت عبيد الله بن جحش ثم أسلمت مع زوجها وتركت دين آبائها وأجدادها وما كان يعبده قومها .

هاجرت مع زوجها الهجرة الثانية إلى الحبشة ولكنه تنصر هناك ومات بعد ذلك بينما هى قد ثبتت على تمسكها بالدين الاسلامى .

فكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشى ليزوجه اياها فأخبرها النجاشى بذلك فسرت سرورا عظيما بهذا الخبر السعيد .

ونحن نعلم أن بنى أمية كانوا من الد أعداء الرسول ﷺ وأبو سفيان ابن حرب لم يعلن إسلامه إلا بعد أن فعل بالمسلمين كل ما قدر عليه ونلحظ من هذا أن زواج الرسول ﷺ من أم حبيبة له غرض أسمى وهو حمل بنى أمية على تقليل الأذى عنه وعن المسلمين .

ولقد اختارها الرسول لنفسه لشرفها فى قومها لأنها لو زوجت من غير كفء لاتخذ بنو أمية ذلك ذريعة لاثارة الفتن وإيقاد نار الحروب .

ولأن هذه السيدة الفاضلة قد خرجت من ديارها فارة بدينها وفى عدم حمايتها تعريض إلى مقاساه الشدائد والأهوال .

فما أجل ما فعله الرسول وما أعظمه من إنسان كريم صاحب خلق عظيم .

السادسة : جويرة :

هي جويرة بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق :

وكانت من سبايا بني المصطلق فتزوجها الرسول ﷺ بعد أن أعتقها ليقتدي به المسلمون ذلك لأن أسرى الحرب خاصة من النساء كن يتخذن جواري ولما تزوج الرسول بها أعتق المسلمون من كان بأيديهم من الأسرى إكراماً لمصاهرة الرسول ﷺ فأسلم بنو المصطلق جميعاً .

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والراجل سهما واحداً فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي فقال أو خير من ذلك ؟

فقالت ما هو ؟ قال أؤدي عنك وأتزوجك فقالت : نعم فقال : قد قبلت فخرج الخبر إلى الناس .

فقالوا أصهار رسول الله يسترقون فأعتقوا من كان بأيديهم من الأسرى فبلغ عتقهم مائة بيت فتزوج الرسول منهم ، فياله من صنيع حكيم ملىء بالرحمة والحكمة .

السابعة : صفية :

وهي صفية بنت حيي ابن أخطب سيد بني النضير ومن أشرف بيوت اليهود .

وقعت في السبي بعد وقعة خيبر .

عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال لما دخلت صفية على رسول الله قال لها ألم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله فقالت إن الله يقول

فى كتابه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال لها : اختارى فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك لتلحق بأهلك فقالت يارسول الله لقد رغبت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى ومالى فى اليهود أرب ومالى والد ولا أخ وخيرتنى الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومى قال فأمسكها رسول الله لنفسه ، وقد رضيته زوجا لها مع أنه خيرها فى ذلك .

الثامنة : أم سلمة :

هى هند زوج أبى سلمى عبد الله بن عبد الأسد ابن عمة النبى ﷺ وكان زوجها أخا لرسول الله من الرضاع .

مات أبو سلمة ومعها أربع بنات : برة ، سلمة ، عمرة ، درة .

فآواها الرسول ﷺ وتزوجها بعد أن اعتذرت قائلة :

إنى إمرأة مسنة وإنى أم أيتام وإنى شديدة الغيرة .

فأجابها الرسول ﷺ قائلا :

الأيتام أضمهم إلىّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة .

ولم يهتم الرسول ﷺ بسنها لأنه كان من أقوى الدواعى للإسراع فى طلبها عطفا عليها ورحمة بها وببناتها ووفاء بحق أخيه من الرضاع وإيواء لصغاره من بعده .

لأنه من الذى كان سيرعى البنات الصغيرات بعد فقدهن لوالدهن ؟

ولا شك أن هذا العمل من رسول الله ﷺ هو عين الحكمة وغاية الكرم .

التاسعة : زينب بن جحش :

والسيدة زينب رضى الله عنها كانت قد تزوجت بزيد بن حارثة الذى رباه الرسول ﷺ وأعتقه وتبناه وطلقها زيد ثم تزوجها رسول الله ﷺ .

وكانت زينب ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمه بنت عبد المطلب .

وقد اختارها الرسول زوجة لمولاه زيد مع إبائها وإباء أخيها عبد الله بن جحش ولا زالت كذلك حتى نزل فى حقها قول الله تبارك وتعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

وكأن السيدة زينب قد أرغمت على الزواج من زيد بن حارثة وذلك من أجل مصلحة اجتماعية عظيمة .

فلقد كان الرجل قبل الإسلام لا يتزوج زوجة ابنه من التبنى فأراد الله عز وجل أن يقطع تلك العادة فكان أمر زواج زينب من زيد ثم طلاقها منه ليتزوجها رسول الله ﷺ .

ولو كان للجمال سلطان لكان سلطان البكر أقوى لأن جمال البكر وبقاء رحمها وطيب فمها وعدم إطلاعها على الرجال من أكبر الدواعى على الرغبة فيها وكان الرسول ﷺ يرى زينب منذ صغرها وكبرت على يديه فلو كان له فيها مطمع لما أمر زينب أن تتزوج بزيد ،

ولم يعرف فيما يغلب على مألوف البشر أن تعظم شهوة القريب وولعه بالقريب إلى أن تبلغ درجة العشق خصوصا إذا كان معاشراً له منذ صغره بل أن المألوف هو الزهد فى الأقارب متى نشأوا منذ صغرهم مع بعضهم بعضا :

وكيف يتوهم متوهم فيمن أدبه ربه أن ينظر إلى زوجة مولاه وهو

الذى رباه ورباها والرسول ﷺ معصوم من الدنايا فكيف يتصور عاقل ما يقوله أعداء الإسلام فى حق الرسول ﷺ .

وقال جل شأنه :

« ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » وذلك من عدل الله عز وجل أن لا ينال حق الإبن إلا من كان ابنا من النسب أما المتبنى فلا يكون له إلا حق المولى الأخ فى الدين .

وكان من عادة المصطفى ﷺ أن يبادر فى كثير من شرائعه إلى إقامتها بنفسه ليكون قدوة حسنة ولكى تمحى تلك العادة التى كانت وبالا على أهلها .

كان تزوجه بزينب إذ ألهمه الله عز وجل أن يتولى الأمر بنفسه فى أحد عتقائه لتسقط تلك العادة قولا وعملا ، لهذا أرضم النبى ﷺ زينب أن تتزوج زيد وهو مولاه ومتبناه وبعد أن صارت زينب إلى زيد لم يذهب جفاؤها له بل شمخت بأنفها كبرا إذا كانت من صميم قريش وهو مولاهم وصارت تؤذى زوجها وتفخر عليه .

وكانت زينب كلما اشتد إيذاؤها لزوجها يذهب زوجها إلى رسول الله ﷺ ليشكو إليه سوء معاملة زوجته وكان الرسول فى كل مرة يقول له :

« أمسك عليك زوجك » .

لكن الله سبحانه وتعالى عاتبه ولامه بعد أن أخبره أن زيدا سيطلق زوجته ثم يتزوجها الرسول ﷺ قطعا لعادة التبنى فقال جل شأنه :

« وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

وبعد أن ضاق الأمر بزيد طلق زوجته وبعد إنتهاء عدتها تزوجها رسول الله ﷺ كما قال تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا كها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

وكل ما قيل من أقاويل بخصوص زواج المصطفى ﷺ من زينب فكله باطل لا أصل له من الصحة لأنه معصوم من كل ما اتهم به وهو برىء من جميع التهم الموجهة إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن العربى : إنه باطل لا يصح النظر إليه فإنه كان معها فى كل وقت وموضع ولم يكن هناك حجاب يمنعها منه ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها وينظر إليها فى كل ساعة ولا تقع فى قلبه إلا إذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها وكرهت غيره فلم يخطر بباله ، فكيف يتجدد الهوى بعد العدم .

حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة وقد قال تعالى :

« ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » .

والنساء أفتن الزهرات وأنضر الرياحين ولم يخالف هذا فى المطلقات فكيف فى المنكوحات المحبوسات ؟ اهـ .

العاشرة : ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد غزوة أحد ولا يخفى ما فى ذلك من البر وحسن الصلة .

وهكذا كانت سنة الرسول ﷺ فى جميع تزوجاته .

فأى شهوة وأى نزوة سيطرت عليه ؟

كل زوجة من زوجاته كان لها ظروف قاسية فكان لابد من تخفيف آلامها ولابد من تكريمها ورفعة قدرها وإعلاء شأنها حتى لا تذل المرأة أو تعيش عالة على غيرها .

ما أعظمه من إنسان ؟ وما أكرمه من رسول ؟ وما أفضله من مصلح اجتماعي عظيم ولو كان صاحب نزوة كما يقول أعداء الإسلام لتزوج أثناء شبابه أو على الأقل كان يختار من النساء من يوصفن بالجمال والشباب .

أما وقد تبين لنا الأمر واتضح لنا حقيقة الأمر فقد ثبت لدينا كما هو ثابت دائماً وأبدا عصمة الرسول ﷺ من كل ما اتهمه به الأعداء .

وصدق الله إذ يقول : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فهـــرس

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مقدمة	٣	الزواج والطلاق	٦٩
المرأة فى الإسلام	٥	حكمة مشروعية الزواج	٨١
الأسرة فى الإسلام	١٠	حسن الاختيار	٨٣
اختيار كل من الزوجين للآخر	١٩	وصية أب	٩٣
أهداف الزواج فى الإسلام	٢٧	وصية أم	٩٥
الترغيب فى الزواج	٣٠	حقوق الزوجين	١٠٢
القوامة	٥٠	حق الزوج	١٠٧
المرأة والميراث	٥٤	الحكمة فى تعدد الزوجات	١١٥
دور الأم فى التربية	٥٨	حكمة تعدد زوجات الرسول	١١٩
من جهة الإسلام بالمرأة	٦٤		

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٨١/٤٠٣٧